المَنهَجُ الصَّرفيُّ

عِنْدَ إبْرَاهِيم الشَّمسَان

قرَاءةٌ في كتَابه
(دروسٌ في عِلمِ الصَّرف)

أ . د . محمد حسين علي زعيّن

كرّار عبد الحميد عدنان

المَنهَجُ الصَّرفيُّ عِنْدَ إبْرَاهِيم الشَّمسَان
قِرَاءة فِي كِتَابه (دروسٌ فِي عِلمِ الصَّرف)

الأستاذ الدّكتور

محمد حسين علي زعيّن — كرّار عبد الحميد عدنان

١٤٤٣هـ — ٢٠٢١م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم

سورة المائدة : الآية ٤٨



إضاءات

* " إنَّ المهمَّ دائمًا هو الوصول إلى الحقيقة، ولكنَّ وسيلةَ الوصولِ تختلفُ من عصرٍ إلى عصر، ولقد كانَ للأقدمين وسائلُهم المناسبةُ لبلوغِ ما طلبوا من الحقيقة... وجاء بعد ذلك دورُنا في محاولةِ الوصولِ إلى الحقيقةِ بوسائلِنا لا بوسائلهم"

د. عبد الصّبور شاهين

المنهج الصّوتيّ للبِنيَة العَرَبيَّة : ٦

*" التركيز على الكلمة يقدّم لنا النظام الأسطوري، والتركيز على التصوّر يعطينا النظام العقلي أو الفلسفي، والتركيز على الشيء يعطينا النظام العلميّ الوصفيّ "

د. سعيد الغانميّ

فاعليَّة الخيال الأدبيّ : ٧٧

*" سارَ الأستاذُ إبراهيم سليمان الرَّشيد الشَّمسَان في دربِ العِلمِ لا يعرفُ الملَ، ويسعد بالتدقيق وراء المصطلح...، وبالبحثِ في الفكرةِ الجزئيّةِ هادفًا إلى تجاوزِ هذا كلّه إلى الرّؤية الشَّاملة لتراثنا وإلى معرفةِ العَرَبيَّة في عمقٍ وموضوعيَّة "

د. محمود فهمي حجازي

في تقديمه لكتاب (الجملة الشَّرطيَّة عند النُّحاةِ العرب)



إِهْدَاء

إلى سَليــــلةِ الأَنهــار ..

إلى الشَّجـرةِ الخالــــدة ..

إلى النَخْلَـةِ؛ رمزًا... وعطـاءً

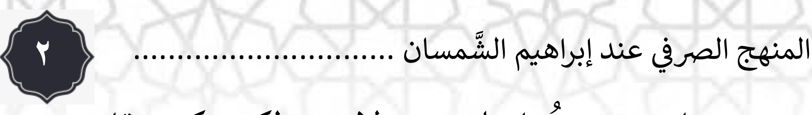


المقدّمة

الحمدُ لله الَّذي أنزلَ كتابَه الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خلقه أجمعين محمّدٍ وعلى آلِهِ الطَّيّبين الطَّاهرين، وعلى صحبهِ الميامين .

أمَّا بعدُ:

فقد أصبحَ من الشَّائع في الأروقة اللسانيَّةِ القول بأنَّ المنهجَ والمنهجيّة شَغَلا مساحةً كبيرةً ومهمَّةً في الدَّرسِ اللسانيِّ العربيّ (قديمه وحديثه) بصورةٍ عامَّة، والدَّرس الصَّرفيّ منه على وجهِ الخصوص؛ ولعلَّ ذلكَ عائدٌ للدّورِ الرَّئيسِ الَّذي يؤدّيه المنهجُ في التَّنظيرِ معرفيًّا ودراسيًّا؛ ولذا يمكن القول :إنَّ العلماءَ العربَ أدركوا منذ القدم أنَّ النظريَّة المَعرفيَّةَ واللغويَّةَ لا يمكنُ لها أن تبلغَ أبسطَ شكلٍ مرسومٍ لها إلا بتأسيسها على المقدّماتِ المنهجيَّةِ والممهّداتِ الَّتي



يقتضــيها موضــوعُها على نحوٍ لازم، ولكي تكون قادرة عبر تطبيقاتها على بلوغ النَّتائج المنشودة.

وانطلاقًـا من هـذا التطوّر جـاءت هـذه الـدراسـة الموسومة بـ (المَنهَجُ الصَّرفيُ عِنْدَ إبْرَاهِيم الشَّمسَان –قِرَاءة فِي كِتَابه: دروسٌ فِي عِلمِ الصَّـرف–))؛ لتكون إجراءً تطبيقيًّا غايتها الأسَـاسـيَّة الوقوف عَلَى المنهجِ الصَّـرفيِّ الَّذي انطلقَ منه الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في تدوينِ المسـائل الصّـرفيَّة ومعالجتها، ولا سـيما في كتابه: (دروس في علم الصَّـرف) على وجه التحديد؛ فتفرَّعت الدراسة وشكّلت أربعة مباحث يتقدّمها تمهيدٌ وتقفوها خاتمة، فالتَّمهيدُ ذكرنا فيه شـيئًا من حياةِ إبراهيم الشَّـمسَـان ومسـاراته العلمية، وأمَّا المبحث الأول الموسـوم بـ :(منهج التَّدوين الصَّـرفي بين القدماء وإبراهيم الشَّـمسَـان) فاشـتملَ على عقدِ المقارنةِ المنهجيَّة

التدوينيَّة للمسائل الصَّرفية في إطارٍ من النَّظر والتَّعاطي اللسانيّ القديم لها، والحديث بصورةٍ عامَّةٍ ولدى الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان على وجه التحديد في كتابه(مظنَّة البحث).

وأمَّا المبحث الثاني الموسوم بـ(المنهج الوصفيّ ومظاهره عند إبراهيم الشَّمسَان) فرصدنا فيه الأداء الوصفيّ الَّذي مارسه الشَّمسَان في كتابه، وما تؤدّيه مظاهرُه / المنهج الوصفيّ/ من أثرٍ في معالجاته الصَّرفية، وقد تمَّ لنا ذلك عن طريق أربعة محاور هي : (السَّمَاع، واللغة المنطوقة، التَّصنيف، ومعالجة المسائل الصَّرفية صوتيًّا).

في حين جاءَ المبحثُ الثَّالثُ الموسوم بـ(المنهج المعياريّ ومظاهره عند إبراهيم الشَّمسَان) متضمّنًا الحديث عن الأسس والآليات المعياريَّة الَّتي وَظَّفَها الشَّمسَانُ في كتابه (دروس في علم الصَّرف)؛ بوصفها رافدًا مهمًّا من

روافد النَّمو في اللغة العَرَبيَّة بصورةٍ عامّة، والمستوى الصَّرفي منها على وجه الخصــوص وكان ذلك عبر ثلاثة محاور هي: (السَّمَاع) و(القياس) و (التعليل).

ليـأتي بعـد ذلـك المبحـثُ الرابعُ الأخير الموســوم بــ(التَّيسير الصَّرفيّ عند إبراهيم الشَّمسَان) مخصَّصًا للحديث عن المحاولات والآليات التَّيسيريَّة الَّتي استعانَ بها الشَّمسَانُ في كتابه(مظنَّة البحث) من أجلِ تحليلِ المســائلِ الصَّــرفيَّةِ وتقديمها، وقد تمَّ لنا ذلك عِبْرَ ثلاثة محاور هي: (الميزان الصَّــرفي بوصــفه آليَّة تيســيريَّة) و(الافتراض بوصــفه آليَّة تيسيريَّة) و(توظيف القرارات المَجْمَعيَّة).

وكان هذا كلّه مشــفوعًا بخاتمةٍ اســتوعبت مجمل النَّتائج الَّتي توصَّــلنا إليها عِبْرَ هـذا البحث، ولابدَّ لنا من

الإشارة إلى التَّفاوت الحاصل في أحجام البحث والمحاور، ولعلَّ ذلك عائد لطبيعة المادة الَّتي حتّمت مثل هذا التفاوت.

وقد اعتمدت الدِّراسةُ على مصادرَ ومراجعَ لسانيَّة متنوّعة، عربيَّة ومترجمة ذات صلة وشأن بمباحث هذه الدراسة ومحاورها، وقبل هذا وذاك اعتمدنا ذلك كله من أجل النظر في المنهجية الَّتي اتَّبعها الشَّمسَان في كتابه (دروسٌ في علم الصَّرف)، ومن تلك الكتب كتاب (علم الصَّرف الصَّوتيّ) للدّكتور عبد القادر عبد الجليل، وكتاب (المنهج الوصفيّ في كتاب سيبويه) للدّكتور نوزاد حسن أحمد، ورسالة الماجستير الموسومة بـ(إسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدّرس اللغويّ) للباحثة سجى عمر طعامنة، وغير ذلك الكثير من الكتب والرسائل والأبحاث الَّتي تمسُّ روحيّة البحث ومنهجه.

وختامًا فإن وفِّقنا في إنصاف الموضوع والبحث فذلك ما نهدف إليه وما نسعى لتحقيقه، وإن يكن غير ذلك فعزاؤنا أنَّنا لم ندّخر وسعًا أو طاقة في سبيله؛ ولعلَّ خير ما يُتَعذَّر به عن مواطن القصور في دراسة كهذه؛ قول الشاعر:

على المرءِ أنْ يَسْعَى بمقدارِ جهدِهِ

وليسَ عليهِ أنْ يكونَ مُوفَّقَا

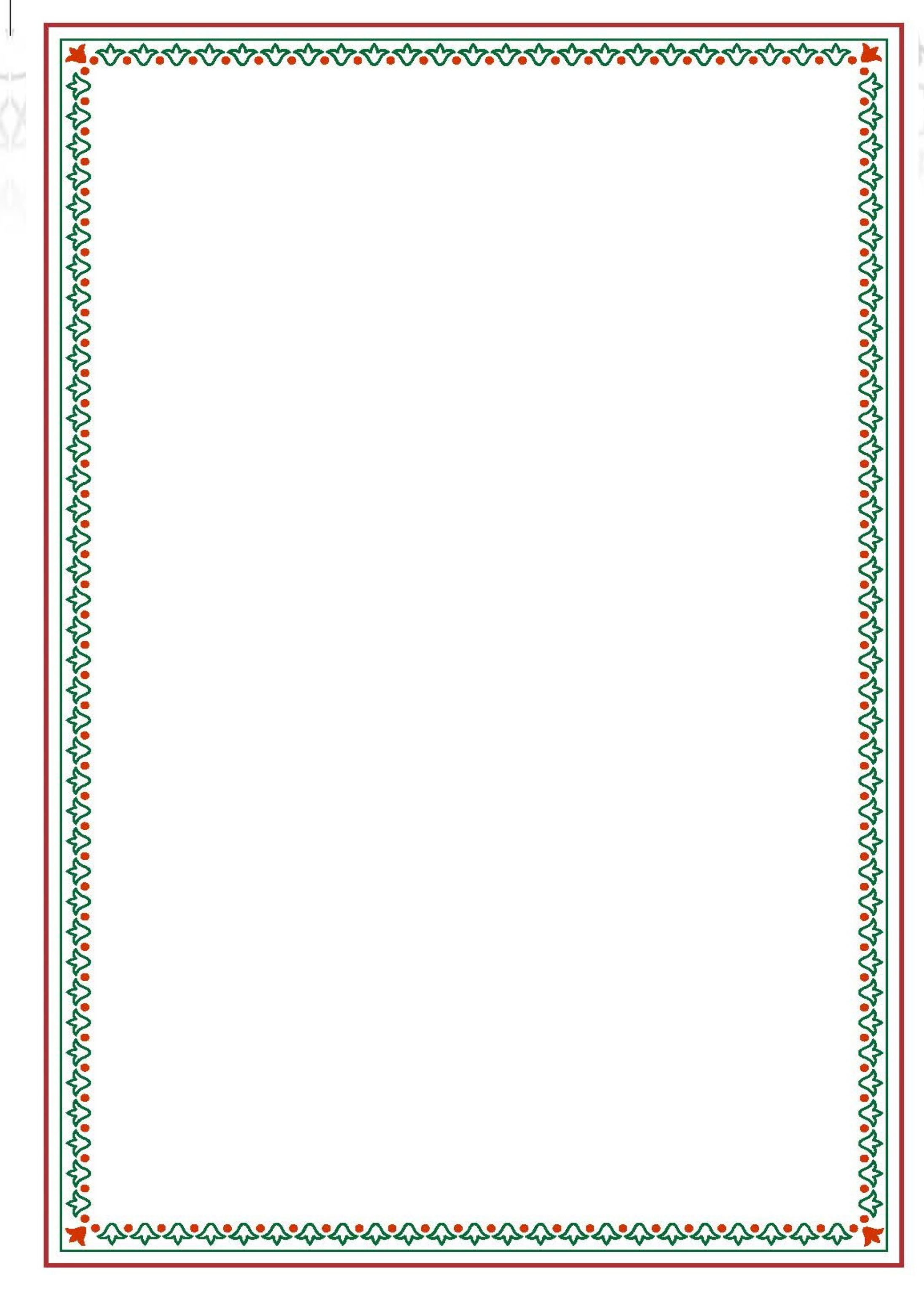
تشرين الأول ٢٠٢١م

ربيع الأول ١٤٤٣هـ

التَّمهيد

إبراهيم الشَّمسَان

ومسيرته العلمية



التَّمهيد

إبراهيم الشَّمسَان، ومسيرته العلمية

هو إبراهيم بن سليمان بن رشيد الشَّمسَان، ويُكنّى بأبي أوس ولد سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف، في محافظة الذنب في منطقة القصيم في المملكة العَرَبيَّة السّعوديَّة، تخرَّج في كليَّةِ الآدابِ في جامعة الملك سعود، وحصلَ على الدرجة الجامعية (الماجستير) سنة تسع وسبعين وتسعمائة وألف، وكان عنوان رسالته (الجملة الشرطيَّة عند النُّحاة العرب)، وقد أشرف عليها الدّكتور محمود فهمي حجازي(رحمه الله)، كما حصل على درجة الدّكتوراه في الآداب من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف، وكان موضوعه آنذاك

(الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه)، وكانت هذه الرسالة تحت إشراف الدّكتور يوسف عبد القادر خليف[١].

وقد تعدَّدَ نتاجُهُ المعرفيُّ واللسانيُّ، وتنوَّع ؛ فله ما يربو على (اثنين وعشرين كتابًا، وخمسة وثلاثين بحثًا، وعشرين مقالة) منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي[٢] :

- الجملة الشرطيَّة عند النحاة العرب(مطبعة الدجوي، القاهرة، ١٩٨١م).
- الفعل في القرآن الكريم: تعديته ولزومه(جامعة الكويت، ١٩٨٦م)
- قضايا التَّعدّي واللزوم في الدّرس النَّحويّ(مطبعة المدني، جدة ١٩٨٧م)

---

(١) ينظر: إسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدرس اللغويّ (رسالة)، سجى عمر عبد الحفيظ طعامنة: ٣

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٩٥ .

- أبنية الفعل: دلالاتها وعلاقاتها (مطبعة المدني، جدة ١٩٨٧م)
- حروف الجر: دلالاتها وعلاقاتها (مطبعة المدني، جدة ١٩٨٧م)
- أخطاء الطلاب في الميزان الصَّرفيّ(مركز البحوث-كلية الآداب-جامعة الملك سعود، ١٩٩٥م)
- دروس في علم الصَّرف(مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٧م)
- جداول التدريبات الصَّرفيَّة (مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٧م)
- مساحة لغويَّة (نادي المدينة الأدبي، المدينة المنورة، ٢٠٠٠م)
- الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني (حوليَّات كلية الآداب ١٨٦-جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٢م).

• أسماء الناس في المملكة العَرَبيَّة السعودية(مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م).

ولأجل ذلك وغيره راحت الأقلام والبحوث المعرفيَّة واللسانيَّة – الَّتي ترمي الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان بطرف الإعجاب- تترى وتتناثر هنا وهناك مسجّلة له ما انماز به عن معاصريه ولاسيما فيما يتعلّق بالأساليب واللغة وطرائق العرض والمعالجة للمادة اللسانية(قديمها وحديثها)؛ ومن ذلك على سبيل المثال؛ أنَّ الأستاذ الدّكتور محمود فهمي حجازي(رحمه الله) وفي أثناء تقديمه لكتاب (الجملة الشرطيَّة عند النُّحَاة العرب) لأبي أوس الشَّمسَان، يذكر أنَّه عرف صاحب هذا الكتاب عند بداية دراسته اللغوية العليا في كلية الآداب بجامعة القاهرة، فكان مزوّدًا بخير ما يعرفه

المتخرّجون الجادّون في قسم اللغة العَرَبيَّة بكليَّة الآداب بجامعة الرياض، وقد سار في درب العلم لا يعرف الملل، ويسعد بالتدقيق... وبالبحث في الفكرة الجزئية هادفًا إلى تجاوز كل هذا إلى الرؤية الشاملة لتراثنا[١] .

ومن ذلك أيضًا الأستاذ الدّكتور سعد مصلوح الَّذي يرى أن الشَّمسَان لا يكتب إلا فيما يجيد ويفيد، غير آبه أن يقتحم محافل قد تزيّنت بتخاييل الحداثة زورًا ودعوى، معرضًا عن أولئك الَّذين يتحججون بحداثة ما لهم فيها من خلاق، لا يقوم كلامه إلا على القطف والخطف... وقليلًا ما

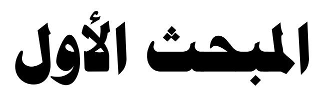
(١) ينظر: الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس الشَّمسَان: ٩ (تقديم الكتاب).

تجد من أهل فنه متواضعًا كتواضعه، ذائقًا فائقًا كذوقه وفوقه، وكان لا يتمزَّى بعلمه على أحد من الخلق[١].

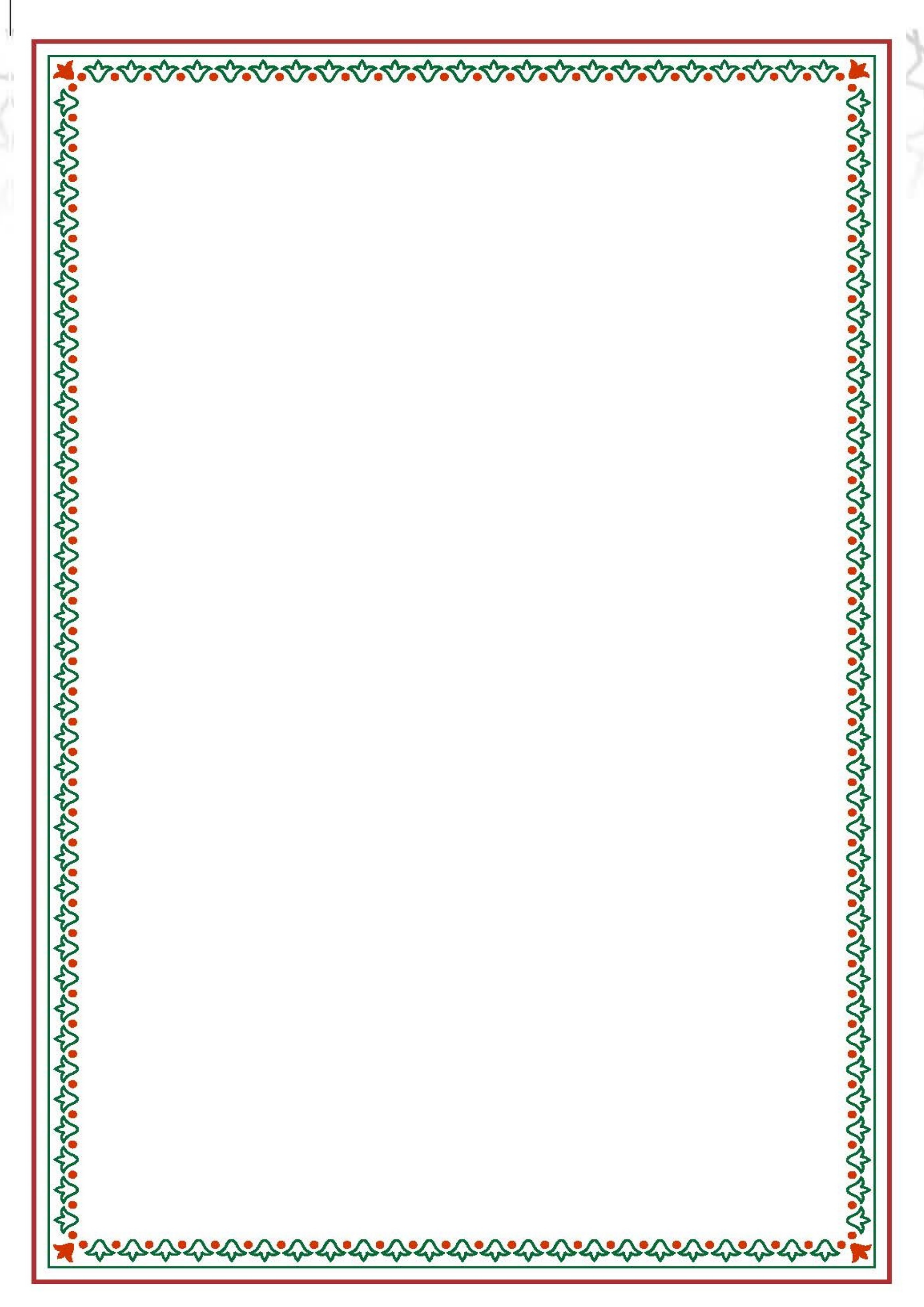
وتأسيسًا على ذلك وغيره الكثير فإننا قد أنزلنا أدوات بحثنا على وادٍ معرفيّ، ولسانيّ يكتظ بمظاهر العلم وعلاقاته المتواشجة والتراث العربي، وكيف لا! وهو((أستاذ في الأدب معلم، وفي النحو جبل، وفي الثقافة بحر، وفي الكتابة والتحدّث بالفصحى كتابٌ نحوي، وفي الفكر علمٌ شامخ))[٢] على حد قول الدّكتور منذر ذيب كفافي .

(١) ينظر: مداخلات لغوية (١) شهادات ومتابعات، الشَّمسَان : ٧– ٨.

(٢) ينظر: إسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدّرس اللغويّ (رسالة) : ١١ .



منهج التَّدوين الصَّرفي
بين القدماء وإبراهيم الشَّمسَان



المبحث الأول

منهج التَّدوين الصَّرفي بين القدماء وإبراهيم الشَّمسَان

شــغل المنهج والمنهجيَّة مســاحةً واســعةً من الدرس الفكري بصــورة عامة والدرس اللغوي منه على وجه التحديد، وأصبح انشغالًا فكريًّا ونظريًّا دائبًا لمعظم المشتغلين في الحقول المعرفية واللغوية بشــتى ميادينهما وفروعها وأصــنافها، حتى لا نكاد نعاين معرفة من المعارف المعاصــرة إلا وتقول بالمنهج، والمنهجية[1]؛ فقد أثبتت الدراسات اللسانيَّة المعاصرة بناءً على ما توصّــلت إليه من دراســات وصــفًا وتحليلًا؛ أنها قائمة على مناهج علمية، ويتجلّى ذلك بوضــوح فيما قدّمته تلك المدارس من دراسات بفعل المنهج وأثره في اللسانيات التاريخية والبنيوية والتوليدية و...؛ إذ أدَّى المنهجُ دورًا رئيسًــا في ذلك كله ســواءٌ

---

(١) ينظر: شيفرة أدونيس الشعرية ؛ د. محمد صابر عبيد:١٩ .

أكان ذلك من حيث التأسيس أم التنظير؛ معرفيًّا ودراسيًّا، لأنه وببساطة ((لا تبلغ نظرية ما أبسط شكلٍ لها إلا بتأسيسها على المقدمات الَّتي يقتضيها موضوعها على نحو لازم، وعلاوة على ذلك، لكي تحقق النظرية غرضها عليها أن تكون في تطبيقاتها كلها قادرة على بلوغ النتائج ... وعند هذه النقطة فإنَّ كلَّ نظرية تواجه متطلّبًا منهاجيًّا))[١].

ومن ثَمَّ وعبر هذه العلامة البالغة الأهمية تقدّم فكرة المنهج في التأليف والمعالجة، بوصفها الأداة النظرية الأولى الَّتي ترسم المعرفة، وتحدد سبلها، وطرق تصنيفها وتقديمها للمتعلّمين، ولعلنا إذا ما شئنا مقاربة ذلك في الدرس الصَّرفي، أي:(مقاربة التصنيف للمواد الصَّرفية في المدونات العَرَبيَّة)،

---

(١) مداخل لنظرية اللغة ، لويس هيلمسليف، ترجمة د. يوسف اسكندر: ٢٨.

فسيتضح لنا أن تصميم المادة الصَّرفية عند القدماء ينقسم على أربعة مذاهب هي[١]:

المذهب الأول: قسّم مباحث الصَّرف على أربعة أقسام: الأول منها يتعلَّق بما يعرِضُ للأسماء من تغييرات، كالجمع والتثنية والنَّسب وغيرها، والثاني خُصِّص للتغييرات الَّتي تكون مشتركة بين الأسماء والأفعال كالإمالة والوقف والتقاء السَّاكنين، كما ينكشف لنا ذلك في كتاب الأصول لابن السَّرّاج (ت ٣١٦هـ)، أما القسم الثالث فيتعلَّق بالأبنية، في حين خصَّ الرابع بالتَّصريف .

المذهب الثاني: خُصّ بالحديث عن التَّقسيم الرّباعيّ للمباحث الصَّرفيَّة، لكن مع اختلافٍ يسير، إذ خصّص الأول بما

(١) ينظر: مستويات التنظير في الصَّرف العربي، د. أحمد كروم: ١٦– ٢١.

يُسمّى المقدّمات، والمبحثُ الثَّاني لما يحدث فيه التَّغيير لغرض المعاني، أما الثالث فتناولوا فيه الظواهر المشتركة، والرابع للتَّصريف، ويمثِّل هذا المذهب ابن مالك في مؤلّفيه: شرح التسهيل، شرح الكافية الشافية.

المذهب الثالث: وقد قسّم المادة الصَّرفية على أربعة مباحث أيضًا مركِّزًا على الأبنية، فخصَّص المبحث الأول لذوات الأبنية، والثاني لأحوال ذوات الأبنية، والثالث لأحوال أواخر الكلمة، أما الرابع فللتَّصريف، ويمثِّل هذا المذهب السّيوطي (٩١١هـ) في كتابه (همع الهوامع) .

وفي المقابل فقد تناول المذهب الرابع المادة الصَّرفية من دون تنظيم محدد كما يتكشف لنا ذلك ويتبدّى في مؤلفات الزجاجي (٣٤٠هـ)لاسيما في كتابه الموسوم بـ "الجمل في

النحو" وفي مؤلفات أبي موسى الجزولي (٦٠٧هـــ)ومنها كتابه الموسوم بـ "المقدمة الجزوليّة في النحو" [١].

أما عند المُحْدَثين فقد اختلفت طريقة التصــنيف للمواد والقضــايا الصَّــرفية أيضًــا؛ فإبراهيم الشَّــمسَــان (بوصــفه مظنَّة البحث) تصدّى لكثيرٍ من المسائل اللغويَّة والصَّرفيَّة، ولاسيما أن لديه إســهامات كثيرة وكبيرة في هذا المجال اتَّســمت بالمنهجيَّة المنضبطة الَّتي من الممكن أن تؤسِّس لمدرسةٍ فكريَّةٍ، ولاتّجاهٍ لغويٍّ متميّزٍ في التّأليف والمعالجة(وســنأتي على بيان هذا في موضعه).

---

(١) ينظر: الجمل في النحو: ٢٤٠، و٢٨٠ـ ٢٨٢، و ٢٩٠، وينظر: المقدمة الجزولية في النحو ١٤١ـ ١٥١، و٢٢٧ـ ٢٣٥، و٢٤٨ـ ٢٥٤، و٢٩٧ـ ٣١٢، وينظر: مستويات التنظير في الصَّرف : ١٨– ٢٠، الاتّجاهات الصَّرفيَّة عند المُحْدَثين دراسة نقدية (أطروحة) : ١٦– ١٧ .

وما كتابه الموسـوم بـــ (دروس في علم الصَّـرف) إلا مصداق جيد، ومثال رائع للنوع الَّذي تنماز به المدونات الصَّرفية من حيـث العرض والمنهج؛ المنهج التـأليفيّ الَّـذي يكتظ بمصـاديق التَّسـهيل والتَّيسـير في التأليف الصَّـرفيّ، على أنَّ ذلك يتضـح لنـا ابتـداءً من العنوان فهي دروسٌ جاءت لتكون عونًـا للمتعلِّم والقارىء المختص بالمعارف اللغويَّة، ومفتاحًا للتّعامل مع المسـائل الصَّـرفيّة ولعلَّها الهدف الأهم الَّذي من أجله نكتب ويكتبون وهذا كما يبدو نتيجة طبيعية للسّـــمة التَّعليميَّة الَّتي من أجلها وضـع هذا الكتاب، يقول الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في مقدمته لهذا الكتاب: ((أتى هذا الكتاب نتيجة للحاجة الماسـة إليه ؛ ليكون مرجعًا أوَّليًّا للطلاب المتخصـصـين بدرس اللغة

العَرَبيَّة، ويمهِّد الطريق لهم، ليكتسبوا بعض المعرفة الصَّرفية الَّتي تهديهم إلى التمكُّن من المهارات التَّصريفيَّة))[١].

وهكذا فلا ريب في أنَّ الرغبة في المعرفة وإيصالها هي الَّتي تقود الإنسان الَّذي يتقن العلوم المعرفيَّة واللغويَّة إلى أن يتابع بحثه؛ متابعةً أكثر بعدًا ويبدو أنّ هذا الشَّاغل هو الَّذي يدفع الإنسان دائمًا دفعًا أكبر إلى الأمام، أي الرغبة في أن يَعْرفَ، وأن يُعرِّف على نحو أفضل، وهذه الرغبة منحت العلوم اللغويَّة والفلسفيَّة ولادتها من قبل فنظمت هذه العلوم إلى حدّ يمكنها أن تُعلّم .

ونظلُّ على هذا النحو مع هذه المحفّزات وصولًا إلى النمط والاتجاه الأساسيّ الَّذي وصف به الشَّمسَان كتابه حين

---

(١) دروس في علم الصَّرف، إبراهيم الشَّمسَان: ٥.

قال: ((وإن لم يكن هذا الكتاب جديدًا كل الجِدَّة في مادته العلميَّة، فإن فيه جِدَّةً في تقديم المادة نفسها من حيث اللغة والجداول الإيضاحية، وجمع المتفرّقات فلأول مرة مثلًا تُدرَس قضايا الاسم والفعل في حيّزٍ واحد))[1].

إنَّ لدينا هنا وصفًا لمدونةٍ صرفية من جهة، وتربويَّة وتعليميَّة تيسيريَّة من جهة أخرى، تيسيريَّة بما في الكلمة من معنى، وهكذا يرغب الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان في أن يمضي إلى أبعد مِمَّا وصل إليه؛ ليكون كتابه نموذجًا معرفيًّا، منظَّمًا، وموجّهًا نحو الرغبة في إحداث عمليّة المعرفة وتحقيق الفائدة المنشودة.

---

(١) دروس في علم الصَّرف، إبراهيم الشَّمسَان: ٥.

إذ يبدو لنا أن الشَّــمسَــان قد أدرك أنَّ كثيرًا ممَّن كتب في هذا العلم عالجَ مسـائل الصَّــرف وقضـايـاه، وكأنَّها ظواهر وموضوعاتٌ معزولة؛ بعضها عن بعض، وتمَّ ترتيبُها على مشابهةٍ خارجيَّة لفظيَّة لا على وحدةٍ داخليَّةٍ معنويَّةٍ، فبدت موضــوعاتُ هذا العلمِ متفرِّقةً لا ينتظمها نظامٌ ولا يربطها نسقٌ معيّنٌ .

فكان كتابُ إبراهيم الشَّـمسَـان (دروس في علم الصَّـرف) بدايةً وعلامةً على سَـدِّ تلك الثّغرات المنهجيَّة في تأليف الكتب بصـورة عامة والصَّـرفية منها على وجه التحديد؛ فقد كان أهم ما ينماز به هذا الكتاب منهجه المُحكم وترتيبه المنسّـق؛ إذ استطاع الدّكتور الشَّمسَـان تبويب موضوعات كتابه خير تبويب، وأحسن تبويب فكان بذلك منهجًا حقًّا في عرض مادة كتابه، عرضًـا محكمًا ؛ ضــمَّ فيه الأشـباه والنظائر إلى نظائرها، وحصـر الموضــوعات المتماثلة في باب واحد لا في أبواب متفرقة، فبدأ

بعد التمهيد بالقضـايا المشـتركة بين الأفعال والأسـماء، ومن ثمّ انتقل إلى قضــايا الفعل الصَّــرفية، واتبعها بمباحث الاســم، ثم تحول إلى معالجة قضـايا التغييرات الصُّــوصــرفيَّة [١]؛ يقول أبو أوس إبراهيم الشَّـمسَان في مقدمة كتابه واصفًا منهجه في التأليف لهذا الكتاب:((يتألَّف هذا الكتاب من جزءين؛ أمَّا الجزء الأول، فيقع في بابين؛ يعالج أحدهما القضــايا المشــتركة بين الأفعال والأسـماء ويعالج الآخر قضـايا الفعل الصَّـرفية، أما الجزء الثاني فيقع في بابين أيضًا يعالج مباحث الاسم الصَّرفية، ويعالج الآخر التغييرات الصوتية والصَّرفية))[٢].

---

(١) ينظر: علم الصَّرف هل من جديد ؟ قراءة في كتاب (دروس في علم الصَّرف) د. أحمد مطر العطية، (مقال منشور) في مدوّنة الجزيرة الإلكترونية :٧.

(٢) دروس في علم الصَّرف : ٥.

والواقع أننا – ونحن نوجّه اهتمامنا إلى هذه المدونة الصَّــرفية؛ للوقوف على منهج صــاحبها في التأليف والمعالجة الصَّــرفيين– اســتطعنا أن نعاين منهجه في التدوين الصَّــرفي، وما يتَّسم به بصورة عامة من الابتعاد عن التعقيد والغموض والإبهام، تلك الصــفات التي وقع بها غيره، الَّتي طالما يشــكو منها طلبة العلم والباحثون بصورة أدق ((فهذا المنهج الَّذي اتبعه الشَّمسَان بمواصــفاته الَّتي ألمعنا إليها بجعل الطالب يتدرج في اكتســاب المعرفة تدريجـاً طبيعيـاً يُبعده عن التشــويش والإربـاك والإحباط))[١].

وهكذا يتأسَّــس المنهج التدوينيّ للمســائل والقضــايا الصَّــرفيَّة عند الدّكتور إبراهيم الشَّــمسَــان، وعلى أســاس من

---

(١) علم الصَّرف هل من جديد ؟ قراءة في كتاب (دروس في علم الصَّرف) د. أحمد مطر العطية (مقال منشور) في مدوّنة الجزيرة الإلكترونية :٧.

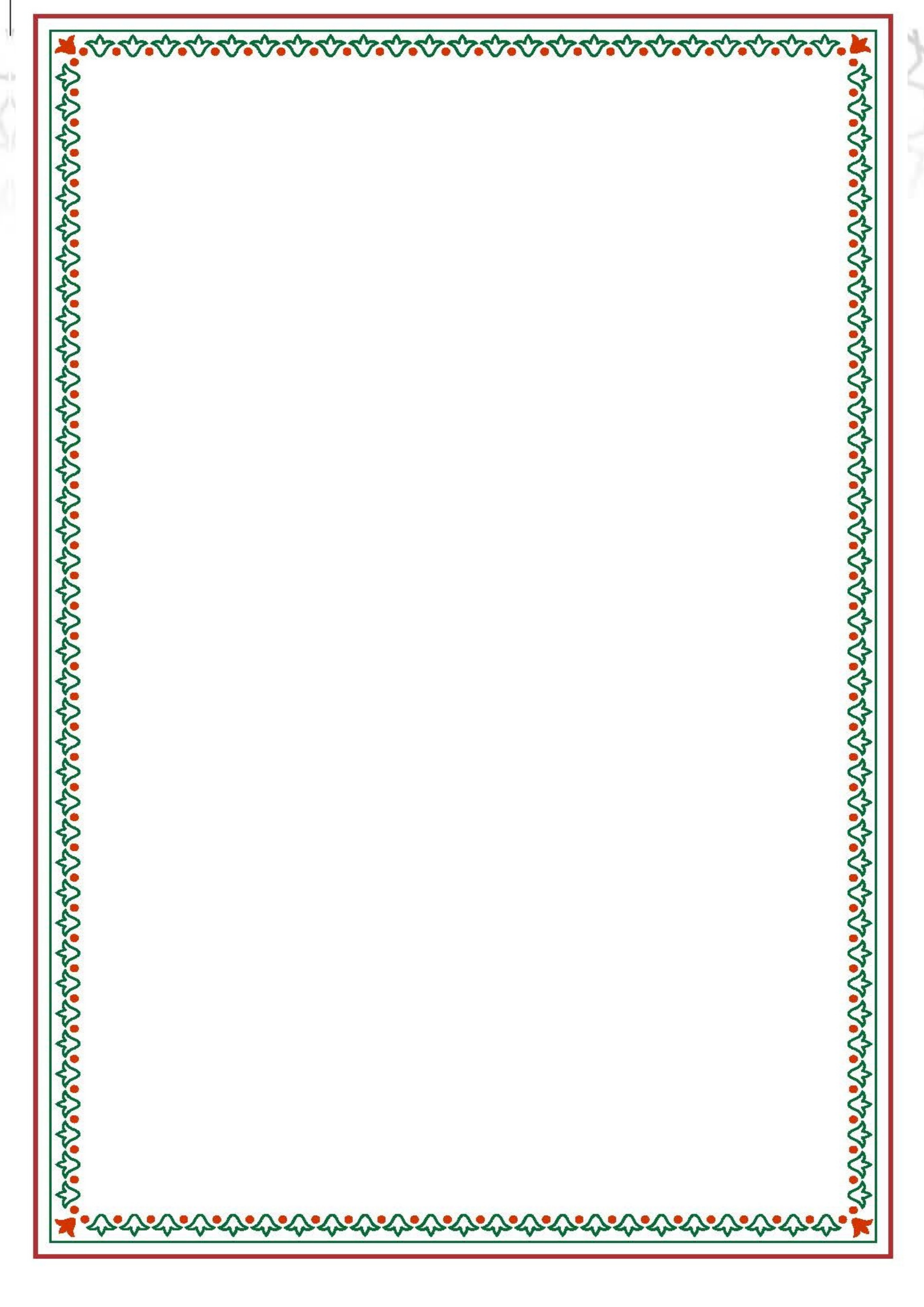
المهارة في التصــنيف والتقســيم، وفي ضــوء معطيات شــكلية ومعنوية، معطيات قائمة على مبدأ التشــابه والاختلاف، ومبنية على دعائم من الوصــف والعرض العميقين؛ اللذين يســعى من خلالهما إلى الربط بين الماضــي والحاضــر، والقديم والحديث وبين الحداثة والتراث، إيمانًا منه بأن لا حديث بلا قديم، وبذلك يتجلَّى لنا المنهج الشّموليّ التَّيسيريّ الَّذي انماز به الشَّمسَان في تدوين المسائل الصَّرفيَّةِ في كتابه (دروس في علم الصَّرف) ؛ ذلكَ المنهج الَّذي يسـعى عن طريقهِ إلى تحقيق الفائدة الَّتي فيها رفعة العَرَبيَّة ودرء اللحن.



المبحث الثاني

المنهج الوصفيّ ومظاهره

عند إبراهيم الشَّمسَان



المبحث الثاني

المنهج الوصفيّ ومظاهره عند إبراهيم الشَّمسَان

يُعرف المنهج الوصفي بأنه: وصف أية لغة من اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات ضمن مدَّةٍ زمانيّةٍ محدَّدة وبيئة مكانيَّة محدّدة، من دونِ التوَقّف عند تأريخها السابق أو اللاحق، ووصف مظاهر اللغة الصوتيّة والصَّرفية والنَّحويّة والدّلاليّة المتزامنة، وتسجيل الواقع اللغوي تسجيلًا أمينًا كما هو؛ لأن ذلك ينقل البحث إلى مستوى أرفع من الحقائق نفسها، فهو رؤية القوانين والاتجاهات الَّتي تتحكَّم فيها، ثم معرفة مدى التشابه بين هذه القوانين والاتجاهات الَّتي

تحكم الحقائق الاجتماعية غير اللغوية ومن ثم الوصول إلى فهم اللغة(١).

ويتوافر اللســانيون المحدثون على حقيقة أن ما قدَّمه المنهجُ الوصــفيّ من معطياتٍ لغويَّةٍ جديدةٍ مكّنته من التَّطوّر السَّــريع في السَّــنوات الأخيرة فقد ((أصــبح علم اللغة الوصــفي ســائدًا عند أكثر الباحثين المشــتغلين ببحث اللغة في العالم، حتى إن البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث، ويعني علم اللغة الوصفيّ، وكأنَّه هو المنهج الحديث الوحيد في علم اللغة))(٢).

فكان ذلك أن توسَّــعت الدراســات والبحوث الَّتي اتّخذت من المنهج الوصــفيّ طريقًا للوصــول إلى النتائج

(١) ينظر: علم اللغة بين التُّراث والمعاصرة، عاطف مدكور: ٦١، مدخل إلى علم اللغة : ٢٣

(٢) مدخل إلى علم اللغة ، د.محمود فهمي حجازي: ٢٣.

المنشــودة و((إعـادة النظر في المعطيـات اللغويـة، وبخـاصـــة المفاهيم الأســاســية العائدة للدراســة اللغوية – مفهوم الكلمة والجملة، والصَّرف والتراكيب –))[١]؛ ونتيجة لاطِّلاع الدَّارسين العرب على هـذا المنهج في الغرب، وعـودة المبتعثين من المصــريين وغيرهم من البلاد العَرَبيَّـة، بـدأت بواكير الاتِّجـاه الوصــفيّ الأولى بالظهور على السَّــاحة العَرَبيَّة، وكان ذلك في أواخر الأَرْبَعينِيَّات من القرن الماضـي، فجاءت الدعوة إلى ذلك على يدِ عددٍ ممَّن درس علم اللغة في البلدان الأوربية، كما وتبنّى هـذا المنهج عـدد من تلامـذتهم على حـد قول الـدّكتور غـانم قدوري الحمد[٢].

(١) فقه اللغة العربية وخصائصها ، د. اميل بديع يعقوب : ٨٦.

(٢) ينظر: أبحاث في العربية الفصحى، د. غانم قدوري الحمد : ١٥٧ .

وينطوي العمل الوصــفيّ على ثلاثة إجراءات كبرى، وطرائق متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية وصــولًا منه إلى تقعيدها وهي (الاســتقراء، والتصــنيف، والتقعيد)، أي بمعنى استقراء المادة اللغوية مشافهة، ثم تقسيمها إلى أقسام وتسمية كل قســم منها، ووضــع المصــطلحات الدالة على هذه الأقســام لنصـلَ بعد ذلك إلى وضــع القواعد الكلية، والجزئية الَّتي تبحث عن الاســتقراء؛ فيكون البدء بالاســتقراء، وتســجيل الظواهر من أهم الأسس الَّتي يعتمد عليها الوصف[1] .

ويعتمد أتباع المنهج الوصـفي في دراسـتهم للمسـتويات اللغوية على مبدأ التقرير الَّذي يعنى بتقديم وصــف لأي ظاهرة لغوية كما هي من حيث اطِّراد قواعدها وشيوعها إذ إن الوصـف يهتم بالإجابة عن سـؤال محدد هو (ماذا) ويبتعد عن (لماذا) أي

(١) ينظر: أسس علم اللغة ، ماريوباي ، ترجمة : د. أحمد مختار عمر: ١٣٠ .

لا يبحث عما وراء حدوث الظاهرة اللغوية؛ فيبتعد الوصــفيون عن التقدير والتأويل إذ يرونه يتنافى مع طبيعة اللغة[١]، ويرى الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان أنَّ المنهج الوصـفيّ هو: ((المنهج الأقرب لمعالجة المادة الصَّرفية))[٢].

وفيما يلي عرضٌ لبعض المصـاديق والقواعد الوصـفيَّة وطبيعة تفاهم الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان وتعامله مع المادة الصَّـرفية في كتابه (دروس في علم الصَّـرف) علَى وفقِ هذه المصاديق والقواعد:

- **المحور الأول : السَّمَاع**

يُعرّف السَّمَاع بأنه: ((الأخذ المباشر للمادة اللغويَّة عن النَّاطقين بها))[٣]، ويقوم المنهجُ الوصـفيُّ في البحث اللغويّ

---

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ٢٢٥.

(٢) مراسلة إلكترونية مع الدكتور إبراهيم الشَّمسَان بتاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠١٩.

(٣) أصول التَّفكير النَّحويّ: ٢٢.

بصـورة عامة أساسًـا على السَّـمَاع؛ لأن الخطوات التالية للبحث إنما تكون بعد جمع المادة الَّتي تجري ملاحظتها ودرسها[١].

وقد اهتم الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان بالكلام المسـموع جريًا على طريقة علماء اللغة الأوائل؛ إيمانًا منه بأن اللغة حقيقة اجتماعيَّة، ولعلَّ هذا ما يذهب إليه المنهج الوصـفي الحديث الَّذي يرى أن ((اللغةُ مسلكٌ اجتماعيٌّ يجري في نماذجَ معيَّنةٍ من الأداء، وأن المجتمع هو الَّـذي يحـدِّد هـذه المنـاهج بطريق العرف))[٢]؛ يقول الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان في حديثه عن التقاء السَّاكنين: ((هناك من يذهب إلى أن نظام العَرَبيَّة يقتضي استحالة تجاور حرفين سـاكنين، ولذلك يجري التخلُّص من هذا التجاور بإقحام حركة بينهما، أو بحذف أحدهما، ويذهب الرضي إلى أنَّ

---

(١) ينظر: اللغة بين المعياريَّة والوصفيَّة: ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٦.

اجتماع ســـاكنين في الوقف قد يتوهّم أنه ممكن نحو قولنا: بكْر، وبشْرْ، وبسْرْ؛ لكن الَّذي يتفطن يعلم أن بينها كسرة خفيفة ولولا ذلك لاســـتحال أن تأتي بالراء الســـاكنة ويؤيد الرضـــي قوله (الحديث لإبراهيم الشَّـــمسَـــان) هذا بما يعمد إليه بعض العرب من نقل حركة الموقوف عليه إلى الســـاكن الأول، ففي: (جاء بكرُ) يقال: (جاء بكُرْ)، وهذا الاســـتخدام متصـــل إلى اليوم في الحجاز، ويؤيده ما نســـمعه من أهل الشـــام بعامة فإنهم يدخلون كسرة خفيفة بين الساكنين فيقولون (بِكْر)، وثَمَّ اتجاه عربي نحو التخلص من الســـكون متى كان ثقيلاً، ونجد في هذا الإطار ما يسمّى بالقلقلة في التجويد وذلك بتحريك الحروف (ق، ط، ب،

ج، د) عند سكونها بكسرة خفيفة، ومن ذلك تحريك ما عينه حرف حلقيّ نحو: نهْر: ونهَر، وبحْر؛ وبحَر))[١].

وبذلك استطاع الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان أن يصفَ السبل والآليَّات الَّتي يتوسَّلها نظام العَرَبيَّة والنَّاطقون بها لمواجهة الحالة النطقيَّة الَّتي يتجاور فيها حرفان ساكنان، اعتمادًا منه على طريقة العرض والمعالجة التَّدوينيَّة الَّتي تتَّسم بالتوضيح التدريجيّ القائم على مبدأ السَّمَاع المباشر عن العرب، أي طريقته الَّتي تتقدم رويدًا رويدًا في الكشف عن المعنى أو القانون اللغوي الَّذي يريد إيصاله للمتلقّين، ولاسيما أنَّ الشَّمسَان يرتكز في عمله الصَّرفيّ والمنهجيّ هذا على مبدأ السَّمَاع الَّذي يجعل من الباث (المؤلِّف أو الباحث) مؤهَّلاً لأن يرى نظام لغته على

(١) دروس في علم الصَّرف:٢/ ١٨٦.

نحوٍ موضــوعيٍّ، وأن يكون بعيدًا عن التأثيرات والانطباعات أو المرجعيات المعرفيَّة المســبقة، ومن ثَمَّ القدرة على التحكّم في الفكرة اللغويَّة(الصَّــرفيَّة)، الَّتي يعـالجهـا وفي إدارة جزئيَّاتهـا؛ لتحقيق نتائج لغويَّة دقيقة؛ وفي هـذا السّــيـاق وفي حـديثه عن المخـارج الرّئيســة للحروف في العَرَبيَّة نجد الـدّكتور إبراهيم الشَّــمسَـان يقول ما نصّــه: ((نذكر مخارج الأصــوات هنا حســب ســماعها في العَرَبيَّة الحاضـرة الممثّلة في قراءة القرآن الكريم، أمَّا مخارج الأصــوات القديمة فقد تغيّر بعضــها مثل صــوت (ض) فوصــفه عند ســيبويه بجعله صــوتًا جانبيًّا مطبقًا ليس له مقابل مفتوح، ولـذلـك قـال : لـولا الإطبـاق لـخرجـت الضَّـــاد من الكلام))(١).

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ٢/ ٨٩.

وبلحاظ ذلك كلّه يمكننا القول: إنَّ مسألة الاعتماد على السَّمَاع المباشر عن العرب في مناطقهم المتعددة وبِحُرِيَّةٍ (زمكانيَّة) تامَّة في رصد القوانين والأنظمة الصَّرفية في داخل اللغة العَرَبيَّة وتقريرها وتحليلها، قد أسبَغَت على هذه المدوّنة الشَّمسَانيَّة (مدار البحث) وعلى منهجيتها التدوينيَّة والتَّفسيريَّة جميع الصّفات الايجابيَّة؛ ولاسيما أنَّ الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان يولي السَّمَاع اهتمامًا كبيرًا؛ ذلك الاهتمام الَّذي يدخل ضمن الأسس العامة الَّتي وضعها الصَّرفيون؛ ((إيمانًا منه بأنَّ اللغة المجموعة عن طريق السَّمَاع هي المعين الرئيسيّ للاتّصال بناطقي اللغة، والسبيل لربط البحث اللغوي بالواقع، ودليل قاطع على صدق الأحكام اللغوية المستقراة))[١].

---

(١) المنهج الوصفيّ في كتاب سيبويه، د. نوزاد حسن أحمد : ٣٨.

- **المحور الثاني اللغة المنطوقة:**

يولي المنهجُ الوصفيُّ اللغةَ المنطوقةَ اهتمامًا كبيرًا، فهي الهدف من الدراسة في البحث اللغوي، ويرجع السبب إلى أنّ التغييرات اللغوية تظهر على اللغة المنطوقة بشكلٍ أدق[١]، فالثابت مبدئيًّا ((أن المستوى المكتوب مستقل نسبيًّا عمَّا هو منطوق، فالمكتوب لا يعكس المنطوق إلا بكيفية جزئية))[٢]، فربما تمرُّ على اللغة الواحدة آلاف السنين وهي تُنطق ولا تكتب، وعندها قد يفقد الباحث حلقة مهمة من حياة اللغة المنطوقة يمكنه من دراسة اللغة من جميع جوانبها[٣]؛ لذلك فقد أدرك الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان أهمية اللغة المنطوقة في معالجاته

(١) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير: ٤٣.

(٢) اللسانيّات البنيويَّة، منهجيّات واتّجاهات، د. مصطفى غلفان: ٩١.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة: ٣٥.

الوصف صرفية، فكان يعتمد عليها في استقراءِ القوانين والأصول اللغويَّة(الصَّرفيَّة) وتثبيتها، ويظهر ذلك بوضوح في قوله:((ويكثر استخدام المبني للمفعول في العصر الحاضر حين لا يراد تحديد فاعل محدد أو بيان شخص منوط به الفعل ومسؤول عنه، فيقال مثلاً: ينبغي أن يُرفع المستوى الصحي، وأن يُنشر التعليمُ، وأن تُنوّع وسائلُ المواصلات، على أنَّ كثيرًا من مستخدمي العَرَبيَّة يعطلون استخدام هذه الظاهرة في موضعها ويستبدلون بها تركيبًا جديدًا هو(الفعل تمَّ+المصدر)؛ يقولون: تمَّ افتتاح المصنع))[١].

ويقول في موضع آخر من كتابه(دروس في علم الصَّرف) ما نصّه:((يكشف التَّصغير عن جانب من جوانب اللغة الَّذي يمثل نظرة الإنسان إلى الكون حوله، وهي نظرة جعلته يصنّف

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ١٤٩.

الموجودات تصنيفًا يختلف حسب الاعتبار الَّذي جعل أساسًا لهذا التصنيف ... وإن تكن اللغة كاشفة لبيئة مستخدميها فإنَّ التصغير من أهم جوانب ذلك؛ إذ كان التَّصغير واسع الاستخدام في بيئة (نجد) بعامَّة وفي (القصيم) بخاصَّة في وقتٍ من الأوقات الَّتي كانت البيئة تعاني من الفاقة وتتصف الحياة بالشظف، ويشكو أهلها القلة فلا عجب أن عمدوا إلى تصغير الموجودات حولهم تعبيرًا عن قلتها أو تفاهتها أو شدة تعلّقهم بها، ويلاحظ انحسار هذه الظاهرة مع التغييرات الَّتي تتابعت على البيئة فحسنت من أحوالها المادية))[١].

ولأن اللغة -كما تعرّف عند بعض اللسانيين- منظومة من الإشارات الصوتية، ومن أجل الكشف عن علاقة اللغة

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٤٤.

بالصـورة والخروج بنتائج تنظيرية واجرائية لابد من مناقشـة دور اللغة في التنميط الاجتماعي؛ ولاسيما أنَّ التعبيرات اللغوية غالبًا ما تكون محمّلة بالصور فالتعبيرات اللفظية - بحسب هوسرل- ترافقها صــور تقوم مقام معانيها بعلاقة قريبة أو بعيدة[١]؛ فإن الدّكتور إبراهيم الشَّــمسَــان - في أعلاه- يمثّل نموذجًا مثاليًّا للطريقة الَّتي يتعامل فيها المنهج الوصــفيّ وآليات اشــتغاله مع اللغة بصورة عامة، واللغة المنطوقة منه على وجه الخصوص .

وتتأكّد هذه النظرة في كتابه(مظنَّة البحث) في حديثه عن مسـألة القلب المكانيّ حين قال: ((هناك كلمتان أو لفظان يؤديان معنًى واحدًا وحروفهما واحدة لكنهما يختلفان في ترتيب هذه الحروف، وهـذه ظـاهرة ملموســة في التراث اللغوي، وفي لغـة

---

(١) التصوّر الفينومينولوجي للغة، قراءة في فلسفة اللغة عند هوسرل (أطروحة) : ١٠٩-١١١.

أطفالنا الصغار ولكنها في لغة الصغار تعد مرحلة من مراحل تعلمهم اللغة واكتسابها ما تلبث أن تزول بعد فترة، أما في اللغة فهو استخدام لا يختلف فيه الكبير عن الصغير، ويبدو أنّه راجعٌ إلى تعدد اللهجات... ونحن نشكُّ أنَّ الكلمة الواحدة تستخدم في لهجة واحدة هي ومقلوبها في عالم الكبار، إذ لابد لكلّ كلمة من دلالة مختلفة، صحيح أننا نجد في اللهجة المحلية اليوم الفعل (قضب) وتعني الإمساك بالشيء وهي مقلوب(قبض) وقبض مستخدمة أيضًا لكنّ هذه تكاد تكون متصلة بوظيفة تسلم النقود... أما في لغة الأطفال فالقلب واضح، وليس لزامًا أن يكون في لغة كل طفل فبعض الأطفال لا يمرون بمرحلة القلب المكانيّ ... وقد شهدت هذا الأمر في لغة أبنائي؛ فابني الأول أوس لم يلثغ بحرف، وما مرّ بمرحلة القلب المكانيّ أمّا أخته ديمة فهي تُكثر من قلب الكلمات ومن أمثلة ذلك يرطب، أي:

يربط، يَذْحَب ؛ أي يذبح ... ومن القلب عند أختها بدور: (ينخف) : أي ينفخ))[١].

واضح جدًّا كيف تشكّل اللغة المنطوقة إحدى المرجعيات الوصفية الأساسيَّة الَّتي يعتمدها الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان في تقوية الحكم اللغويّ (الصَّرفيّ) وتثبيته، ومن ثَمَّ الخطاب الَّذي ينتجه؛ ولاسيما أنَّ الشَّمسَان في عمله الصَّرفيّ هذا يعتمد على آليَّة الرجوع إلى المبدأ الصَّوتيّ وأسس التحليل اللغويّ الَّذي ينطلق من كون اللغات تتصف بكونها كلامًا منطوقًا يتداول شفاهة، ولذلك وجب الاهتمام بالمنطوق؛ لأنَّ دراسة المستوى المكتوب في هكذا محاور لغوية بصورة عامة، وصرفيَّة بالدرجة الأساس تستدعي بالضرورة تحليلًا معمَّقًا لِما هو

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ١/ ٣٧.

منطوق، علَى أنَّ الاكتفاء بما هو مكتوب قد يقود إلى جملة من الأخطاء تخصُّ الواقع الصّرفي للسان المدروس، وبذلك تتجلَّى لنا براعة الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان، وتتبدّى لنا دقته في اختيار المنطوق من دون المكتوب في مدارسته لموضوعاتٍ من مثل (المبني للمعلوم، والتَّصغير، والقلب المكانيّ)، ومن ثَمَّ فإنَّ إيلاء الدّكتور الشَّمسَان أهمية للغة المنطوقة جاء توكيدًا لمنهجه الوصفيّ الَّذي سار على وفقه في مواطن متعددة من كتابه (دروس في علم الصَّرف)؛ وبوصفه المرتكز الأساسي للتحليل اللساني لديه؛ ولاسيما أنَّ اللغة المنطوقة تؤدِّي دورًا مهمًّا في تشكيل الصور والأبنية الصَّرفية العَرَبيَّة، ليس لكونها تحمل هذه الصور فحسب بل لأنَّ هذه الصور تصبح شائعة ويشترك بها أعضاء الجماعة من خلال اللغة ولاسيما أن للمنطوق بنيته المميزة التي تجعله ينفرد بمجموعة من الخصائص الشكلية المعتمدة أصلاً

على الدراسة الوصفية؛ والأهم من ذلك أن المجتمعات البشرية قد شكّلت نفسها في أول الأمر بمساعدة الكلام المنطوق، ولم يصبح كتابيًا إلا في وقت متأخر جدًا من تاريخه، بل ولم يحدث ذلك في أول الأمر إلا في مجموعات بشرية فحسب[١].

- **المحور الثالث : التصنيف**

تدخل العملية التصنيفيَّة ضمن المنهج الوصفي في البحث اللغويّ، وتأسيسًا على ذلك يُعدُّ التصنيف عملًا منهجيًّا فضلاً عن كونه عملًا وصفيًّا مهمًّا فتوضع الوحدات اللغوية في مجاميع أو أصناف على أساس المعيار المناسب للتشابه[٢]

(١) ينظر: الشفاهية والكتابية، والترج أونج: ٣٨، وينظر: النص بين المنطوق والمكتوب دراسة لسانية تطبيقية، آسية باتني (رسالة): ١١٠ ـ ١١١.

(٢) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٦٠.

ومن المعلوم أنَّ التصـــنيف يلي مرحلـة جمع البيـانـات اللغويـة، وبعـدهـا تتراكم المعـارف في ذهن البـاحـث، بفعـل الملاحظة الدقيقة للظواهر اللغوية، والتصـــنيف وســيلة منهجية للتعـامـل مع الظواهر بغيـة معـالجتهـا في فئات، ولم يكن كتـاب الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان بعيدًا عن هذا الأسـاس المنهجي في دراسته الصَّرفية فقد اتَّخذ من ((المنهج الوصفيّ طريقًا لتصنيف الظواهر اللغوية في ضـــوء الأحكام الَّتي توصَّـــل إليها عن طريق ملاحظـة العلائق الَّتي تربط الظواهر بعضـــهـا ببعض، وتحـديـد العلائق على أسـاس من التماثل الشـكلي والوظيفي))[١]، ويبدو لنا ذلك من أول وهلة نطالع فيها كتابه (مظنَّة البحث)؛ وَعِبْرَ التقسـيم الموضـوعاتيّ الَّذي وسـمه لكتابه - كما بيّنا آنفًا- فقد

---

(١) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٦١.

عرض مادته عرضًـــا محكمًا، ضـــمّ فيه الأشـــباه إلى أشـــباهها والنظائر إلى نظائرها، وهكذا فعل مع الموضـــوعات فقد حصـــر الموضـــوعات المتماثلة في باب واحد لا في أبواب متفرقة، وقد هداهُ عمله التصنيفيّ إلى معرفة الموازين الَّتي عرفتها العَرَبيَّة ؛ إذ يقول : ((تعرف العَرَبيَّة عددًا من الموازين الَّتي تزن بها الألفاظ منها:

١- **الميزان الصَّرفي ....**

ب-الميزان التصغيري وهو الصيغة الَّتي تصاغ فيها الأسماء عند تصـغيرها، فالأسـماء المؤلفة من ثلاثة أحرف تصـاغ في صـيغة معينة هي (فُعَيْل)، أما ما زاد على ثلاثة ففي صــيغتي (فُعَيْعِل)، و(فُعَيْعِيـل) ولا فرق في مـا زاد على ثلاثـة أحرف بين المجرد والمزيد.

ت-الميزان الشكلي: وهو (مَفَاعل) ومفاعيل؛ وذلك المسمَّى بصيغة منتهى الجموع...

ث- الميزان التحقيقي وهو لفظ غير مستعمل في العَرَبيَّة لكنه يلجأ إليه لتحقيق الهمزة وإظهارها ويكون ذلك باستبدال عين بها ...

ج- الميزان التمثيلي: وهو لفظ يذكر لبيان أن لفظًا آخر يماثله من حيث الحكم..

ح- الميزان البابي وهو ما يسمى بأبواب الفعل الثلاثي إذ يذكر أحد الأفعال الثلاثية المشهورة المعروف بناء الماضي منها والمضارع وذلك لبناء فعل آخر مجهول...

خ- الميزان العروضيّ: وهو جعل البيت على وحدات تفعيلية اعتمادًا على الحركات والسكنات، ولا يأبه التقسيم بحدود

الكلمات إذ قد تقع الكلمة في تفعيلة واحدة والاعتبار للصوت لا للخط، ولذلك يُعَدُّ التنوين نونًا..."[١].

حاول الشَّمسَان عِبْرَ هذا التصنيف أن يقدّم فهمًا جديدًا، وعرضًا مختلفًا لمسألة الموازين في اللغة العَرَبيَّة، ويبدو لنا أنَّ عملية إدراج هذه الموازين العَرَبيَّة في عملية تصنيفية واحدة، وأن ظهورها في كتابه مجتمعة يمثل ردة فعل على الأزمة المنهجيَّة والتدوينيَّة الَّتي نعاني منها في العلوم الإنسانية واللغوية بصورة عامة، والصَّرفية منها على وجه التحديد؛ ففي كتاب (تقويم المنهج الصَّرفيّ) يبيّن مؤلّفُه أنَّ ((من العسير علينا أن نُلم بشتات المنهج الصَّرفيّ القديم فنضعه على هيكلة الَّذي أراده الصَّرفيون إلا بعد جهد كبير وعناء شديد، فلا نكاد نجد خطة واضحة

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٤٢، وينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٦– ٤٧.

محكمة متناســقة بطريقة تربط المقدمات بالنتائج، وقلَّما يظل البحث محصــورًا في موضــوع لا يتعدّاه إلى غيره ممَّا يقرب أو يبعد، وقد وسـم الصَّـرفيون أنفســهم منهجهم باختلال الترتيب وتداخل التبويب))[١]، وبالمقابل كانت اشــتغالات الشَّــمسَــان التصنيفيَّة تقدّم مدخلًا مهمًّا لدراسة المسائل الصَّرفية، فضلًا عن كونِهَا تمثِّل طريقة ومعطى تعليميًّا يســتند إلى عمليات التقســيم والتصـنيف في أثناء عمليات التعريف بالمسـائل والأطر الصَّـرفية الَّتي تتشكل في ضوئها المعاني والصور لدى المتلقِّي والقارىء، وتتكرّر هذه النظرة والصــورة المنهجيَّة في مواضــع متعددة، منها على ســبيل المثال ما نجده في قوله وهو بصــدد تقســيم الاســم وتصــنيفه من حيث الجمود، والاشــتقاق، وتقســيمه عدديًّا:

---

(١) تقويم المنهج الصَّرفي: ١٣٢.

((ينقسم الاسم من حيث العدد ثلاثة أقسام: المفرد، والمثنى والجمع، المفرد هو ما دلّ على واحد، وهو نوعان:

أ- اسم الجنس: وهو ما دلَّ على واحد غير معيّن: رجل، أسد، شجرة.

ب- العلم الشَّخصيّ: وهو ما دل بلفظه على فرد معين: زيد، هند، جدة، والمثنى ما دلّ على اثنين بزيادة (ألف ونون)، أو (ياء ونون) على مفرده: رجلان، زيدان، رجلين، زيدين))[(١)]، وقوله في موضع آخر: ((ينقسم الاسم قسمين: جامد، ومشتق، والجامد هو ما ارتجل ووضع للدلالة على معناه ولم يؤخذ من لفظ غيره مثل: رجل، أسد، ماء، شجر، ... والمشتق هو ما أخذ من غيره كأنه قد شق له لفظ من لفظ غيره))[(٢)]

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ٢/ ٢٧.

(٢) المصدر نفسه : ١/ ٥٣.

ويلاحظ من هذه النصوص أن جهد الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان لم يكن بعيدًا عن التصنيف بوصفه آلية يستخدمها الباث لتحقيق الانسجام في مدوناته؛ ولاسيما أنَّ التصنيف يعدُّ ((أحد الأسس الَّتي يعتمد عليها المنهج الوصفي))[1]؛ إذ صنّف الوحدات الصَّرفية، وحدَّد علاقتها على أساسٍ من ((التماثل الشكليّ والوظيفيّ وهما معياران وصفيان))[2]، وليس ذلك فحسب بل لقد هداه عمله التصنيفيّ إلى تقسيم الأصوات اللغوية بحسب صفاتها ؛ إذ يقول: ((إنَّ الأصوات لا تتفق باتصافها بكل الصفات، ولذلك اختلفت؛ لأن كل صوت يختلف عن غيره بما ينطبق عليه من هذه الصفات... واعتمادًا على الصفات يمكن تقسيم الأصوات بحسب الآتي: أولًا:

---

(١) المنهج الوصفيّ في كتاب سيبويه: ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٤.

الحركات والصــوامت ... ثانيًا: الجهر وغير الجهر(الهمس)... ثـالثًـا: الانفجـاريّ وغير الانفجـاري ... رابعًـا: المطبق وغير المطبق))[١] .

نستخلص ممَّا سبق أنَّ آلية التصنيف تؤدِّي دورًا مهمًّا في بنـاء صــورة واضــحة المعـالم عن المنهج والآليَّات العلميَّة(الوصــفيَّة)الَّتي يعتمدها الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في عمله الصَّــرفي وفي المدوّنة مدار البحث وعرض تلك الصــورة بشــكل دقيق أمـام المُتلقّي؛ وهـذا الأمر ليس معنـاه أنَّ عمليـة التصنيف بصورة عامة تعدُّ مصدرًا مهمًّا وأداة فعاّلة تسهم في نقل المعارف والمعلومات والقواعد بدقة وصورةٍ يسيرة فحسب، بل لأنَّها تســهم في رســم وتكوين الخصــائص العلمية والمعرفية

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٨٣.

للمتكلم(المؤلِّف هنا)، وتُعبِّرُ في الوقت نفســه عن قيمته وقيمه، وتـأثير ذلـك كلـه على قواعـده وقوانينـه وخطـابـه الَّـذي ينتج؛ ولاسـيما أنَّ توظيف الشَّـمسَـان لهذه التقانة أو الآليَّة الوصـفيَّة – إنْ صَحَّ التّعبيرُ – جاء دقيقًا وعميقًا وبما يخدم الغايتين: العلميَّة، والتَّعليميَّة اللتين رسمهما الشَّـمسَـان لنفسه في مقدمة كتابه (مظنَّة البحث) .

- **المحور الرابع: معالجة المسائل الصَّرفية صوتيًّا**

يتفق كثير من اللســانيين المُحـدَثين على أنَّ نظـام الصــرف العربي هو نظام صــوتي بالـدرجة الأولى، ويرون أنَّ القدماء تســلل اليهم الوهمُ حينما جعلوا هناك علاقة تلازمية بين الصــرف العربي والشــكل الكتابي، ولاســيما ((أنَّ تنظيم وبناء اللغة العَرَبيَّة الفونولوجي يقوم على منظومة القوانين الصــوتية والصَّــرفية والدلالية، وهي تقود الجوانب الائتلافية للعناصــر

الفونيمية وقابليتها وقدرتها على التشكيل والتحقيق والإظهار))[١]، ومن ثَمَّ فالاعتماد على الرسم من دون النطق في كثيرٍ من المسائل الصَّرفية يقودنا بالضرورة إلى التعسُّف والخطأ في الحكم، فضلًا عَمَّا يَتَضَمَّنهُ من تناقضٍ ضمنيّ؛ إذ إنَّ الرموز الخطيَّة لا يمكن لها أن تستوعب كل ما يوجد من غنى وتنوع صوتيّ في اللغات البشرية[٢]، ولأجل ذلك فإنَّ أيّ دراسة لغويَّة بالدرجة الأساس، وصرفيَّة على وجه التحديد لا تأخذ بالحسبانِ الجانب الصوتي، كملحظ أساسي، تُعدُّ قاصرة، وغير منتجة ؛ إذا

---

(١) علم الصَّرف الصوتي : د. عبد القادر عبد الجليل : ٢٨.

(٢) ينظر: البحث الصَّرفي في الدراسات اللغوية العربية الحديثة (أطروحة) : نسرين عبد الله العلواني : ٢٣٦.

كنّا نعدُّ اللغة منظومة محكمة البنية، وأن كل ما جاءت به بحاجة إلى إعادة في الرؤية والتحليل))[١].

الأمر الَّذي قاد علماء العَرَبيَّة المحدثين إلى محاولة الربط بين الدراسات الصَّرفية والدراسات الصوتية، ويعدّ الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان واحدًا من المُحْدَثين الَّذين عملوا على توجيه الكثير من المسائل الصَّرفية في ضوء معطيات علم الأصوات الحديث، والاعتماد على الجانب النطقيّ لا الشكل الكتابيّ في تفسير مسائل الصَّرف العربيّ منها، وهذا ما نجده ماثلاً أمامنا في كتابه (مظنَّة البحث)، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر حديثه عن مسائل الإعلال والإبدال ومَا يتعلَّق بهما من قضَايَا؛ إذ يقول في مسألة قلب الألف إلى واو: ((تقلب إلى الواو،

(١) ينظر: علم الصَّرف الصوتي : ٢٨- ٢٩.

الألف في ثلاثة مواضــع... ٣- أن تقع ثانية في الجمع الأقصــى لفاعل وفاعلة، نحو: خاتم للجمع: خواتم، نابغة، للجمع: نوابغ؛ وعلة القلب دفع اجتماع ألفين وهو متعذّر؛ لأن الألف الأولى لابدّ أن تكون ســاكنة والثانية لا تكون إلا بفتحة تســبقها حســب مذهب الصَّرفيين، أمَّا من ناحية صوتية فالألفان حركتان طويلتان وهمـًا لا تتابعـًا))[١].

وفي حديثه عن مسألة الإعلال بالنقل(التسكين) ولا سيّما في الفقرة المتعلقة بالمصدر الموازن لـ:(إفعال، أو استفعال)

إجواب (بالنقل)　　اِجَواب (بالقلب)　　إجاب

إذ اجتمع ســـاكنان فحذف أحدهما وعوّض عنه بتاء التأنيث: إجاب(بالحذف والتعويض) إجابة (على وزن أفعلة أو افالة)؛ وهذا المثال كما يقرر الشَّــمسَــان من الأمثلة الَّتي يشــكل

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ١٠٣ -١٠٤.

فهمها إذ إنَّ نقل الفتحة بجعل الألف من دون حركة مناسـبة له، وهذا مخالفة لطبيعة المد؛ فشـرط المد أن يكون مسبوقـًا بحركة مناسبة له(١).

ويذكر الشَّـمسَـان أنَّ الأصـواتيين ((يردِّدون القولَ بأنَّ المُدود مسـبوقةٌ بحركاتٍ مناسـبةٍ لها؛ إذ المدودُ هي نفسـها حركات، لكنها طويلة، ويذهبون إلى أن الواو قد حذفت قبل اعلالها))(٢)؛ وبذلك لا يمكن للشكل الكتابي أن ينفرد وحده في معالجة القضـايا الصَّـرفية وتفسـيرها؛ إذ إنَّ المعالجة المنهجية الَّتي يقدّمها الشَّمسَان في هذا المجال تؤدِّي دورًا مركزيًّا في تدعيم النظام الصَّرفي العربي صوتيًّا، كما أنها تؤدي دورًا مهمًّا وفعَّالًا في تعزيز هيمنة علم الأصـوات الحديث بقوانينه وأنظمته المختلفة في تقرير الكثير من المسائل الصَّرفية وتفسيرها؛ ويقرّبنا الشَّمسَان

---

(١) ينظر : دروس في علم الصَّرف: ٢/ ١١٣-١١٦.

(٢) دروس في علم الصَّرف : ١/ ١٢٣.

من هذا النَّسَــقِ اللغويّ القائم على مبدأ التأثير الصَّــوتيّ والتَّأثُّر الصَّرفيّ في حديثه عن الوصف الصَّوتيّ لظاهرة الإدغام حين قال: ((حينما يتجاور صــوتان لا حركة بينها فهما إمَّا من جنســين مختلفين أو من جنس واحـد، وفي الحـالـة الأولى لا يحـدث الإدغام، فالإظهار هو الأصــل؛ فالصــوت الأول تلتقي أعضــاء النطق لنطقه ثم تفترق لتلتقي مرة أخرى عند نطق الصــوت الَّذي يليه؛ أما إن كانا من جنس واحد فإنَّ أعضــاء النطق تلتقي لنطق الأول، وتظل في لقائها حتى تنطق الصوت الَّذي يليه مثال ذلك : نَبَتَ (ن ـَــ ب ـَــ ت ـَــ) تلتقي الشفتان مع نطق الباء الأولى فلا تنفرجان لتلتقيا لنطق الثانية بل تظلان منطبقتين حتى تســمع الثانية بعد انفجارها إثر انفراج الشــفتين، والفرق بين نطق الباء غير المدغمة والباء المدغمة في الباء هو فرق في الزمن حيث يتأخر انفجار الصوت مع الحالة الثانية))(١).

---

(١) دروس في علم التَّصريف : ٢/ ١٢٦.

وهكذا يتَّضـــح لنا كيف تؤدي العلاقات الصــوتية دورًا بـارزًا في تحـديـد الوحـدات الصَّــرفيـة، وكيف يتبنَّى إبراهيم الشَّــمسَــان العلاقة القائمة بين علم الأصــوات وعلم الصَّــرف؛ منطلقًا في توضـيـح هذه العلاقة من الدور الَّذي تؤدِّيهِ في تشـكيل البِنَى الصَّــرفية، وفي تفسـير معانيها ؛ إيمانًا منه بأنَّ ((الدراســة الصَّــوتيَّة هي عماد أية لغة من اللغات وبدونها لا يمكن لها أن ترقى؛ لأنَّ أبنيتها وتراكيبها تقوم على أساس التشكيلات الصَّوتيَّة وتبادليَّة المواقع وإمكانية القدرة على إنتاج صــور دلاليَّة تكوّن المنظور الفكريّ، وتغني مساراته))[١].

يمكن القول بوجه عام وانطلاقًا من المعالجات(الصَّرف صــوتيَّة) الَّتي قدّمها الشَّــمسَــان في كتابه (مظنَّة البحث): إنَّ الدِّراسات الصَّرفية تبقى قاصرةً في الكثير من أحوالها ما لم تكن

---

(١) علم الصَّرف الصَّوتيّ : ٢٨ .

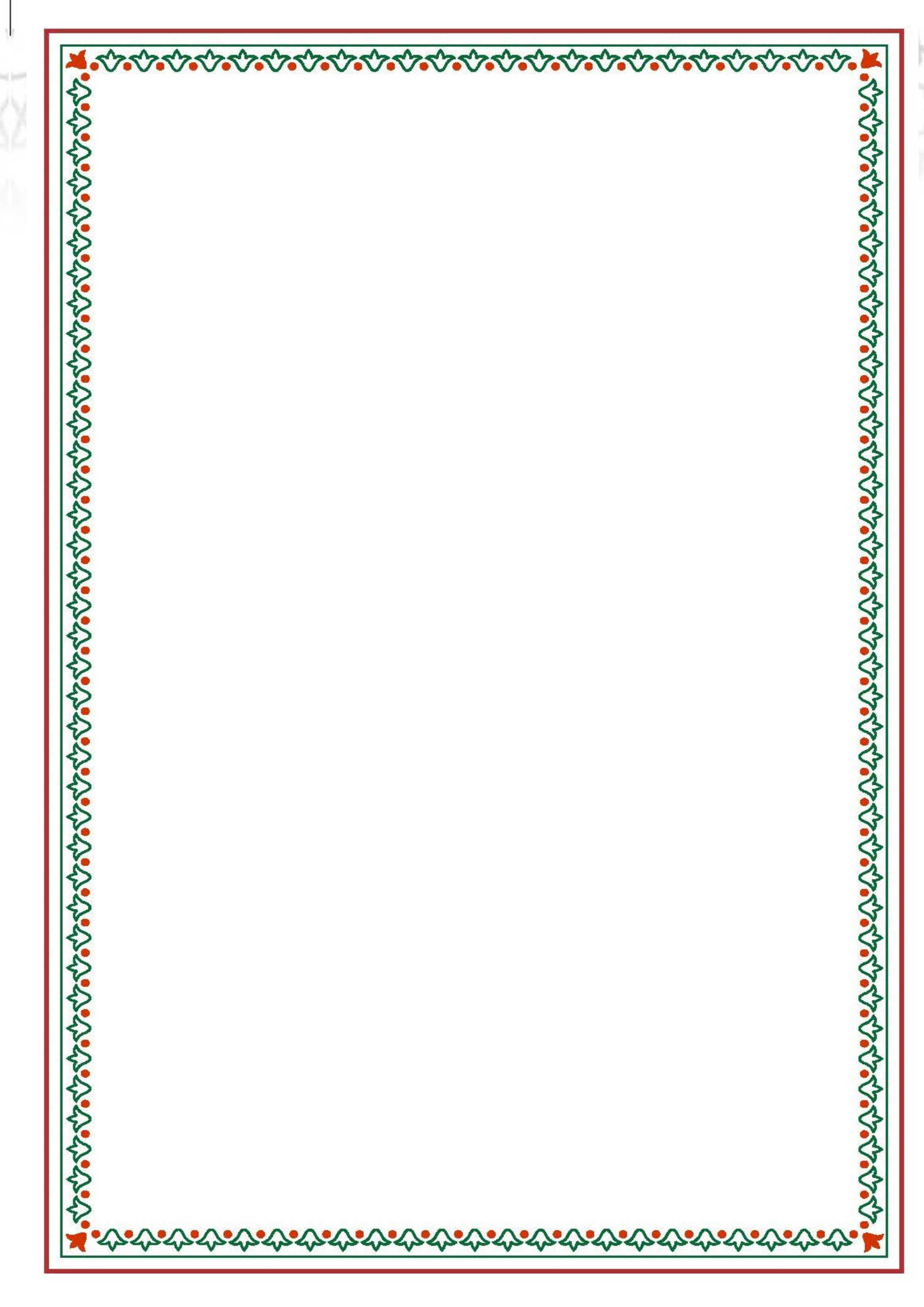
مستندة إلى علم الأصوات الَّذي تؤدِّي العلاقات الصوتية بين الصوائت مثلاً دورًا كبيرًا وبارزًا في تحليل الكثير منها وتعليلها ؛ ولاسيما أنَّها تمكّن المؤلِّف(الباحث) من الإمساك بالمعنى أو لنقل: التفسير العلمي الدقيق الَّذي تنطوي عليه الظواهر اللغوية –الصَّرفية–.

وبصورة عامة وتأسيسًا على ما سبق (وغيره الكثير) فإنَّ الطريقة الَّتي عالج بها الشَّمسَان كثيرًا من الظواهر الصَّرفية، فضلاً عن مجموعة العمليات التطبيقيَّة والاجرائيَّة الَّتي استند عليها في حل الكثير من الظواهر الصَّرفية وتعليلها ومناقشتها، تثبت أنه وفي مواطن ليست بالقليلة من كتابه(دروس في علم الصَّرف)قد اتّخذ من المنهج الوصفي منهجًا يسير على وفقهِ في محاولة منه للكشف عن الأصول الصَّرفية من جهة، وفي معالجة المسائل الصَّرفية الَّتي بفضلها يصل إلى ما يرجوه من أغراض ونتائج من جهة أخرى.

المبحث الثالث

المنهج المعياريّ ومظاهره

عند إبراهيم الشَّمسَان



المبحث الثالث

المنهج المعياريّ ومظاهره عند إبراهيم الشَّمسَان

تُعرّف المعياريَّة بوصفها منهجًا من مناهج البحث العلميّ في اللغة بأنها؛ ذلك المنهج الَّذي يقوم على صناعة المعايير، وبناء القواعد اللغوية؛ فلكي يُصاغ علم من العلوم اللغوية صياغة دقيقة وتحدد ملامحه ومباحثه لا بُدَّ من تحديد القواعد والمعايير المطَّردة في هذا العلم، مع ضرورة أنْ تقوم هذه القواعد والمعايير على الاستقراء الدقيق، وأن يَكفل لها التعليل المنطقيّ المناسب، وأن تصبح كل قاعدة أصلاً مضبوطًا تقاس عليه الجزئيات قياسًا دقيقا[١].

ومعنى ذلك أن المنهج المعياريّ يقوم على خلاف ما قام عليه المنهج الوصفيّ ؛ لكونِهِ يقوم على فرض القواعد اللغوية وضبط

---

(١) ينظر: المدارس النَّحويَّة ، د. شوقي ضيف: ٤٤.

حركة اللغة والانتقال من الكليَّات، ويتأوّل ما خرج عن هذه القاعدة بشتّى التأويلات أو يحكم عليها بالشّذوذ والقلّة[١].

وأكثر ما يظهر المنهج المعياريّ عند العرب في الدراسات النَّحويَّة والصَّرفيَّة فقد وضع أصحاب المدارس النحويَّة من البصريين والكوفيين معايير تضبط الجملة العَرَبيَّة وتراكيبها ووضعوا لكلٍّ مدرسة منهجًا في ذلك، وظهرت مع المعيارية النحوية معيارية صرفية، ومن مظاهرها عند أهل اللغة تحديدهم للأوزان والأبنية الصَّرفية، وردّ بعض الكلام أو إخراجه من دائرة كلام العرب؛ لأنه خالف أبنيتهم ومن ذلك قول المازني في نهاية باب الأسماء والأفعال: ((وإنما كتبت لك في صدر هذا الكتاب هذه الأمثلة ؛ لتعلم كيف مذاهب العرب فيما

---

(١) ينظر: منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين: ٢٣.

بنت من الأسماء والأفعال ؛ فإذا سئلت عن مسألة فانظر هل بنت العرب مثالها ؟ فإن كانت بنت، فابنِ مثل ما بنت، وإنْ كان الَّذي سئلت عنه ليس من أبنية العرب فلا تبنه ؛ لأنك إنما تريد أمثلتهم وعليها تقيس))[١].

ومِمَّن تحدّث في المعياريَّة الصَّــرفية وحاول تحديدها وضــبطها ابن خالويه في كتابه (ليس في كلام العرب)، وعلى هذا فإنَّ المنهج المعياريّ قديم ومتأصِّل عند الصَّرفيين[٢].

وممَّا ينبغي ذكره أنّ من أهم الأسس الَّتي يقوم عليها هذا المنهج، القياس؛ فالقياس أو الصوغ القيَاسِيّ ،يظهر عند المتكلِّم في أثناءِ محاولته صـياغة الجمل علَى وفق النماذج التركيبيَّة

---

(١) المنصف شرح كتاب التَّصريف للمازنيّ : ١/ ٩٥-٩٦.

(٢) ينظر: محاولات بناء المعيار الدلاليّ في الدلالة المعجميَّة ، د. بدر بن عائد : ٤٢-٤٣.

المتعارف عليها، وعند التفريق بين المذكّر والمؤنث، وفي بناء الصيغ الصَّرفية[١].

ومنها الميل إلى التعليل وهو الإجابة عن سؤال (لماذا)؟

ومنها الاعتماد على التأويل والتقدير، وذلك لمحاولة رد ما شذّ عن القواعد المعيارية إليها، ومن ثمّ فإن لكل فنٍ ولكل علمٍ أسسه ومبادئه المعيارية الَّتي تضبط أصوله وفروعه، وطريقة البحث، والمعالجة والتأليف فيه؛ وعلى الرغم من المطالبات الَّتي ينادي بها المحدثون بوجوب تطبيق المنهج الوصفي في دراسة الصَّرف العربي واستبعاد المنهج المعياري، بذريعة أن المنهج الوصفي أسرع عطاءً من الناحية التعليمية، وأقرب إلى

---

(١) ينظر: اللغة بين المعياريَّة والوصفيَّة: ٣٩-٤٠.

الواقعيَّة[١]، إلّا أنَّنا نجد الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان ولا سـيّما في كتابه (دروس في علم الصَّـرف) قد اعتمد في عمله على ضـبط اللغة والمعايير الصَّـرفية على وفق القياس والتعليل، و رَدّ ما خالف من القاعدة الصَّـرفية إليها، وغَير ذلك من الآليات المعيارية الرصـينة؛ لما في ذلك من فوائد تسـاعد في ضـبط اللغة العَرَبيَّة بصـورة عامة والبنى الصَّـرفية على وجه التحديد، وتسـهم في تيسير تعليمها .

وفيما يأتي أبرز الضـوابط والشـروط الَّتي تتصـف بكونها معيارية اسـتند عليها الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان وتفحّص عن طريقها المادة الصَّرفية :

---

(١) ينظر: المستشرقون والمناهج اللغويَّة : ٦٨- ٦٩، محاولات بناء المعيار الدلاليّ في الدلالة المعجميَّة : ٤٥.

- **المحور الأول : السَّمَاع**

السَّـــمَاع في اللغة مصــدر ســمع، والسّــمع حسُّ الأذن، والسَّمَاع ما سمعت به فشاع وتكلّم به والجمع أسماع[١]، أمَّا في الاصـطلاح فهو: ((ما ثبت في كلام من يوثق بفصـاحته؛ فشـمل كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبيّه ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنةُ بكثرة المولّدين نظمًا وشـعرًا))[٢]، ويُعَرَّف أيضًـا بأنَّه :((الكلام العربي الفصـيح المنقول بـالنقـل الصــحيح الخـارج من حـدِّ القلّـة إلى حـدِّ الكثرة))[٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب ، مادة (س م ع) : ٢/ ٢٠٢.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو :١٤.

(٣) لمع الأدلة : ٤٥ .

وبناءً على ذلك فمصادر السَّمَاع هي[١] :

١ – القرآن الكريم والقراءات القرآنيَّة.

٢ – الحديث النبوي الشريف.

٣ – كلام العرب الفصحاء شعرًا ونثرًا.

ويعدُّ السَّمَاع الركن الأول من أركان الاستدلال، فعليه يعتمد وبه يقتدى في استنباط الكثير من الأحكام اللغوية والصَّرفية على وجه الاختيار واثباتها؛ فهو الحجة البيضاء، الَّتي يُنهل منها الرحيق المختوم سواء أكان ذلك بالسَّمَاع في القواعد الكلية أم الفرعية، الأصلية أم الجزئية، الخلافية منها والترجيحيَّة[٢] .

---

(١) ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجيَّة في الفكر اللغويّ عند العرب : ٩٨.

(٢) يُنظر: الاجتهاد النحويّ في ضوء علم الأصول ، د. رائد عبد الله حمد السامرائي: ١٣٧.

ومن الأمثلة والمصاديق الدالة على السَّمَاع وأثره في بناء القاعدة الصَّرفية وتأسيسها عند إبراهيم الشَّمسَان في كتابه (مظنَّة البحث) ما ذكره في حديثه عن التَّصـغير الشَّـاذ حين قال: ((وقد يكون شـاذًّا لمخالفة القواعد الصَّـرفية، أو لمخالفته شـرط المصـغّر، وسـوف نذكر بعض ما سـمع من هذه المصـغرات، ونذكر المصـغّر الَّذي تقتضـيه القاعدة وهو المصـغّر القيَاسِـيّ، ولا يعني ذلك أنَّ هذا المصـغّر هو ما يجب أن نسـتخدمه بل قد يكون السَّـمَاعي هو ما يجب اسـتخدامه؛ لأنهم إنَّما عمدوا إليه لعلَّةٍ أدركوها كما في تصـغير (عيد) على (عُييد)؛ لكي لا يلتبس بتصغير(عود) ؛ إذ هما من مادة اشتقاقية واحدة (ع/ و/ د)))[1]

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٥٧- ٥٨.

لقد ثبت لنا عن طريق المعياريَّة التدوينيَّة والتحليليَّة الَّتي يعتمدها الشَّـمسَـان أن الألفاظ المسـموعة الَّتي يتلقّاها الفرد من محيطه ومن ضـمنِهَا الأبنية الصَّـرفيَّة الَّتي تحتويها، تخلق لها واقعًا لغويًّا خاصًّـا بها، يعبّر بالضـرورة عن تصـوّرات الجماعة الناطقة بها وعن الإدراكات والأحاسـيس الذوقية الجوانيّة الَّتي وجَّهت الوعي اللغويّ لأن يشـكّل تلك الألفاظ ويترجمها على الهيئة الشكلية والصـورة النطقية الَّتي يصـوغ عن طريقها الأفراد المعاني ومنهجية النظام اللغوي السـائد؛ ولذلك فقد اجتهد مَجْمَعُ اللغة العَرَبيَّة في القاهرة كما يذكر الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان بالاستشهاد بالمسموع من العرب في موضوع النسب وتحديدًا في مسألة حذف الياء وإثباتها في النسب إلى (فُعَيل) ؛ إذ يقولُ : ((وقد شـذَّ النَّسـبُ بحذف الياء مع صـحَّة اللام ما يلي: قرشـيّ، ثقفي، فقمي في (كنانة) ملحي في (خزاعة)، وقد بحث

مَجْمَعُ اللغة العَرَبيَّة هذه القضـــية وانتهى إلى قرارٍ موفَّقٍ في هذه المســألة وهو (ورد السَّــمَاع بحذف الياء وإثباتها في النســب إلى فُعَيل بفتح الفاء وضــمّها، مذكرة ومؤنثة، في الأعلام وفي غير الأعلام، ولهذا يجاز الحذف والإثبات)، - وهذا القرار- مبنيٌّ على أنَّ الأصــل في النســب عامة الإبقاء على صــيغة الكلمة، ومراعاة هذا الأصل تقتضي أن يكون النسب إلى فُعَيل بفتح الفاء وضــمّها، مذكَّرةً ومؤنَّثة بغير حذف شــيء إلا تاء التأنيث في المؤنث، ولكن العرب لم يجروا على هذا الأصــل في المشــهور من الأعلام المشــهورة، يضــاف إلى ذلك أنّه لم يتبيّن من الأمثلة المســموعة أنهم احتاجوا في هذه الصــيغة إلى النســب إلى غير الأعلام من النكرات وأســماء المعاني إلا في الندرة ، على أنَّ هذا

النادر ما ورد بالإبقاء على الياء، والأَوْلَى عندي النسب مع إثبات الياء والواو، والاقتصار في الحذفِ على ما سُمِعَ من ذلك))[١].

وفي بعض الأحيان تشــكّل الألفاظ المســموعة مدخلًا مهمًّا لتحقيق الانســجام والتوافق بين اللغويين، ومن ثَمَّ العمل على تقليص الفجوة الخلافية الَّتي قد تنتجُ من عمليات الانتقاء القيَاسِــيّ للصــيغ والأبنية الصَّــرفية؛ الأمر الَّذي يســاعد على بقاء المخزون اللغوي المتفق عليه بعيدًا عن عمليات التشويه اللغوي - إنْ جاز لنا الوصف – ولعلَّ هذا الأمر يوضّحه الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان مسألة الاقتصار على المسموع من جمع الجمع الَّذي يميل إليه كثيرٌ من اللغويين؛ إذ يقول: ((تتوسَّــع اللغة في التفاوت النســبيّ للقيمة العدديَّة، واقتضــت بعض فنون الإبداع من نثر

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٦٩، وينظر: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعًا ودراسة وتقويما: ٦١١.

وشعر توليد صيغ جديدة تدلُّ على المبالغة وأغراض أخرى ومن ثَمَّ نشأت الحاجة إلى جمع الجمع، ويتوصّل إلى جمع الجمع بقياس الجمع على المفرد من حيث هيئة الحروف بغض الطرف عن الحركات، مثل:(أعيُن) تجمع على (أعاين) قياسًا على المفرد (أسود) الَّذي يجمع على (أساود)، ... ويجوز جمع ما لا يكسر جمع سلامة، مثل: صواحب: صواحبات، نواكس: نواكسون، ويميل بعض علماء العَرَبيَّة إلى الاقتصار على المسموع من جمع الجمع إذ قِيَاسيَّة هذا من الأمور الخلافية))[١] .

واستنادًا إلى ما سبق يتبيّن لنا أنَّ اعتماد الشَّمسَان وفي كثيرٍ من المواطن في كتابه على المسموع من كلام العرب بوصفه

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٤٠، وينظر: ارتشاف الضرب : ١/ ٢١٨- ٢١٩.

أسـاسًـا يركن إليه؛ يمثِّل محاولة نظرية ومنهجية بالدرجة الأولى والأساس لدراسة الأبنية والصيغ الصَّرفية؛ انطلاقًا من ثراء اللغة المسـموعة من كلام العرب – الَّتي لا يمكن الاسـتغناء عنها بأي حالٍ من الأحوال – في إغناء الدرس الصَّـرفي، وفي إثبات أحكامه وقواعده سواء أكانت كلية أم جزئية.

- **المحور الثاني : القياس**

القياس في اللغة: التقدير، يُقال: قاس الثوب بالذراع إذا قدّره به، وهو من قولهم: قاس الشـيء يقيسـه قياسًـا، واقتاسـه، وقيّسه إذ قدّره على أمثاله[(١)].

---

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (ق ي س) ٣/ ٢٠٠.

وفي الاصـــطلاح عرّفه أبو البركات الأنباري بأنَّه ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه كرفع الفاعل، ونصب المفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنه))[١].

وقد أجملت الدّكتورة خديجة الحديثي (يرحمُها اللهُ) التَّعريفات الســابقة فقالت عن القياسِ بأَنَّهُ:((حمل مجهول على معلوم، وحمل غير المنقول على ما نقل، وحمل ما لم يُســمع على ما سمع في حكم من الأحكام وبعلَّةٍ جامعة بينهما))[٢].

ويُعدُّ القياس الأصــل الثاني من الأصــول المعتدّ بها عند علماء اللغة، وعليه المعوّل والمفزع بعد السَّمَاع وله أهمية كبيرة في نموّ المســائل اللغوية وتطورها، وغزارة مادتها، واســتخلاص قواعدها ســواء أكانت صــرفية أم نحوية، وضــبط أحكامها، وقد

---

(١) الإغراب في جدل الإعراب : ٤٥.

(٢) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ٢٢١.

ذهب إليه النحاة الأوائل بحكم فطرتهم، وسجيّتهم؛ إذ عرفه النحويون منذ نشأته؛ لذلك كان محط اهتمامهم ومبلغ علمهم[١].

وقد تعدَّدت الأحكام الَّتي أودعها الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان كتابه اعتمادًا منه على القياس، ومن بين الأمثلة الدالَّة على ذلك؛ حديثه عن المجرد والمزيد والفرق بين الأحرف الأصلية والأحرف المزيدة حين قال: ((وبناء على ما سبق نجد الكلمات الَّتي تتضمَّنُ أحرفًا متكررة في نظائر أخرى - على البناء نفسه - عدّت فيها الأحرف المتكررة مزيدة وإن لم يكن للكلمة أصل أخذت عنه، مثال ذلك الاسم الجامد (عصفور) يحكم على الواو منه بأنها حرف زيادة لأن هذه الواو تتكرّر في كلمات

---

(١) ينظر: الاجتهاد النحوي في ضوء علم الأصول: ١٩٤.

كلهـا على وزن واحـد هو(فُعْلول)مثـل(خُرْنُوب، سُـرْحُوب، طُنبُور))[١].

وبهـذا تكتسـب عمليـة القيـاس عنـد الـدّكتور إبراهيم الشَّمسَان أهمية كبيرة في تشكيل الأحكام الصَّرفية؛ ولاسيما أنَّه يعتمدها منهجيًا وبوصفها مصدرًا من مصادر الإمساك بالخيوط الأولى والرئيسة الَّتي تسهم في تحليل الموقف الصَّرفي؛ و تمكين الباحث نوعًا ما لأن يتخلى عن حقل الاحتمالات والتوقعات المرتبطة بالرؤى الشـخصية، وأن يتمسّـك بالسير على طريق الموروث اللسـانيّ العربيّ بصـورة عامة وفي تعامله مع الألفاظ وبِنيتها على وجه التحديد ومن أجل النظر فيها والقياس عليها؛

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٨٦.

بمعنى أنه يكيّف ما يصـدره من أحكام مع ما هو مرصـود ومتوفّر له.

ولا يمكننا أن ننسـى الإشـارة هنا إلى أنّ الحالة الصَّـرفية أو اللفظ المقيس عليه ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لبلوغ غاية منهجية وتفسـيرية يحددها المؤلف، وعلى هذا النحو يمكننا أن نقرأ ما قاله الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في حديثه عن وظيفة الإدغام ؛ إذ نجده يسـتشـهد بقول يحيى بن يعمر العلويّ الَّذي يرى أنَّ عدم تكرار الحروف المتقاربة وإدغامها عند العرب، كان نتيجة لقياسـهم على عدم تكرارها في الحروف المتماثلة، يقول الدّكتور الشَّمسَان: ((الإدغام وسيلة من وسائل العَرَبيَّة للتخلص من المتماثلات وقد بيّن هذا بجلاء العلويّ في قوله: اعلم أنَّ العرب الَّذين هم الأصـل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف المتماثلة في كثير من كلامهم إلى الإدغام وما ذاك إلا

لأجل ثقله على ألسنتهم، وهكذا فعلوا في المتقاربين أيضًا فقالوا : مدّ، وشدّ، والأصل مدَدَ وشَدَدَ))[١].

ولم يقتصر الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان على هذه القواعد والأحكام القيَاسِيّة بل اجتهد في وضع القواعد والأحكام الترجيحية في حالة تعارض الأقيسة على العموم؛ ومن ذلك – على سبيلِ المثال – حديثه عن أبنية الفعل المجرد، بناء(فَعَل: يَفْعَل) تحديدًا حين قال: ((ما جاء على بناء (فَعَل : يَفْعَل) نحو : (فَتَح : يفْتَح) وبه سُمِّيَ الباب وينقاس في كل فعل عينه أو لامه حرف حلقيّ، إلا إنْ كان مضعّفًا فإنَّه يرجع إلى بابه الأصلي القيَاسِيّ، وهو باب ضَرَب يَضرِبُ للازم وباب نَصرَ ينْصُر

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ١٢٧.

للمتعدّي، والحروف الحلقيَّة عند الصَّرفيين هي (أ، هـ، ع، خ، غ، ح))[١].

والواقع أن لدى الشَّمسَان أفكاره ومنهجيته الواضحة عن مشكل القضايا الصَّرفية وأهمية العملية القيَاسِيّة، وبصورة أدق دور القياس في إغناء اللغة، وفي تقديم فرضيات وتكوينها من داخل اللغة لبدايات حلولها؛ ولاسيما أنَّ عملية القياس ليست مقاربة خارجية بالنسبة للغة ، بل محاولة لإدراك ماهيَّة اللغة بل محاولة لإدراك الكثير من الظواهر اللغوية والصَّرفية منها على وجه الاختيار؛ ومن ثم فإننا على هذا النحو نستطيع تفسير ورود الكثير من الأمثلة الدالة على القواعد والأحكام الصَّرفية في كتاب الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان (مظنَّة البحث)؛ تلك القواعد الَّتي

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ١/ ٩٣.

صـاحبت القياس بوصـفه دليلًا يُركن إليه، وحجة يسـتند إليها، تماشـيًا مع النحويين القدماء الَّذي يَعدّون((القياس الأصـل الثاني...بعد السَّـمَاع فهو ذو الفضـل الكبير في ترسيخ الكثير من قواعد النحو، وأحكامه إذ عرفه النحويون منذ نشـأته لذلك كان محط اهتمامهم ومبلغ علمهم))[١].

- **المحور الثالث : التعليل**

التعليل((سـقيٌ بعد سـقيٍ... وتعلَّل بالأمر واعتلَّ... وعلَّله بطعامٍ وحديثٍ شـغله بهما...))[٢]، والتعليل هو تقرير ثبوت المؤثر إلى الأثر، وقيل: ((التَّعليل هو إظهار عِلّية الشـيء

---

(١) الاجتهاد النحوي في ضوء علم الأصول : ١٩٤.

(٢) لسان العرب : ١٣/ ٤٩٦.

ســواء أكانت تامة أم ناقصــة، والصَّــواب: أن التعليل هو تقرير ثبوت المؤثر في إثبات الشيء))[١].

والتعليل من الأســس المعيارية الَّتي اعتمد عليها القدماء في تعليل الأحكام الَّتي يصـــدرونها إذ إنّ ((التعليل اللغوي في مراحله المتقدمة يتمثل في البحث عن الأسـباب الَّتي تكمن وراء الظاهرة اللغوية، وهو تعليل فِطري إذا كان بحثًا على هامش تلك الظواهر والقواعد... ومهما يكن من أمر فقد أخذ النحاة منذ عصـــر الخليل بمبدأ العلّية وكل حكم يعلل، وكلّ ظاهرة نحوية أو لغوية، كلية أو جزئية، لابدّ لها من علّة أوجدتها، ولم يكتفوا

---

(١) التعريفات : ٤٩.

بما قرُب وســهل من العلل، وإنما ذهبوا يغوصــون إلى كوامن العِلل وخفياتها ودقائقها))(١).

ولأن التعليل في الصَّـرف يختص ببيان العِلل والأسـباب الموجبـة للتغييرات الَّتي تنـال البنيـة اللفظيـة جراء الإبـدال أو الحذف أو الزيادة والنقصان وما إلى ذلك مما يثري اللغة العَرَبيَّة من حيث تنوّع الصيغ وزيادة الألفاظ ؛ كان على القارئ ألّا يغفل التمايز الواقع بين مهمة التعليل الصَّــرفي ومهمة التعليل النحوي وفي ضــوء المعطيـات العلميـة الَّتي يختص بهـا كـلٌّ من النحو والصَّرف منهجًا وأحكامًا ومقاييس(٢).

---

(١) التَّعليل الصَّوتيّ عند العرب في ضوء علم الصَّوت الحديث : د. عادل نذير : ٢٤- ٢٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣٤-٣٥

وكان التعليل الصَّـرفي واحدًا من الأسـاليب الَّتي انتهجها الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في كتابه؛ محاولًا عن طريقه تسـويق الأحكـام اللغويـة والصَّـرفيـة الَّتي ترافق الظواهر الصَّـرفيـة المصاحبة للأبنية العَرَبيَّة ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر حديثه عن قلب (الألف) إلى (واو) حين قال: ((ويدخل في ذلك الألف المنقلبة عن همزة تخلُّصًا من اجتماع همزتين، مثل:

أَأْدم ⟵ آدم = ءادم بالتصغير أُويدم

وعلّة القلب تغيّر الحركة قبل الألف من الفتح إلى الضم والألف لا يسبق بضم أو أن الفتحة الطويلة (=الألف) تحوَّلت إلى ضمة طويلة =(واو مد)))[١] .

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ١٠٣ –١٠٤.

ويتكرر هذا الأمر في عدة مواضـع من كتابه؛ إذ ورد في حديثه عن قلب الألف إلى همزة؛ أن الألف تقلب إلى همزة إذا :

١- وقعت الألف بعد ألف جمع التكسير وهي زائدة في المفرد، نحو:

(رسالة) بالجمع تصبح: (رساال) ← (رسائل)

والعلة دفع اجتماع ألفين فهو متعذر

٢- إذا تطرَّفت بعد ألف زائدة، نحو: (صـحرى) بالزيادة تصـبح:(صـحراى)، بالقلب تصـبح:(صـحراء)، والعلّة دفع اجتماع ألفين فهو متعذر، وشأن حروف العلل المتطرفة بعد ألف مزيدة أن تقلب همزة[1].

---

(١) يُنْظَرُ : دروس في علم الصَّرف: ٢/ ١٠٩.

ونجده في موضـــع آخر من كتابه يعلِّل لابن الحاجب رؤيته في أن الإدغام يذهب بغنه الميم حين قال: ((ولكنّ القول ما نجده عند ابن الحاجب وهو أن الإدغام يذهب بغنّة الميم، وهذا هو القول الصـــحيح، إذ الفرق بين الباء والميم أن الباء حبســيّة انفجاريَّة، وأنّ الميم حبســية أنفية، أي إن ظهورها يعتمد بشكل أساسي على خروج الهواء من الأنف؛ ولذلك تختفي من نطق المصــاب بانســداد أنفه من زكام أو غيره، وهي تختلف عن النون في أنّ الأنفية صفة مصاحبة لخروجها، ولذلك حين تخفى النون قبل الباء ينحبس الهواء عند الشــفتين، ولكنه يخرج من الألف محقّقًا الصفة المصاحبة لنطق النون من أجل ذلك تسمع

النون ميمًا، وهذا ما جعل المجوّدين يظنون أنّ النون قُلبت ميمًا وليس الأمر كذلك))[١] .

من المؤكَّد أن الشَّمسَان في كتابه "دروس في علم الصَّرف" يسعى إلى الكشف عن الطريقة والمنهجيَّة الَّتي يمسُّ بها روحية الصَّرف، والاشتغال على تعليل وتحليل الأسرار اللغوية والنطقية الكامنة وراء التحوّلات البنائية للألفاظ العَرَبيَّة؛ ولاسيما أنَّه في هذا الكتاب وفي هذه النصوص تحديدًا يقدّم لنا فهمًا عمليًّا ناضجًا؛ على أننا نطلق في رؤيتنا هذه من الحضور المتكرر لعبارة "والعلة في ذلك، وعلة القلب، وعلة دفع..." والَّتي يسعى عن طريقها لتحقيق الغايتين : العلمية والتعليمية ، أمّا الغاية الأولى(العلمية) ؛ أي إبراز الملامح العلمية للمشروع

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ١٦٦.

الشَّـمسَـاني في الصَّـرف عبر اختباره على محك المنهج المعياري وآلياته الفعّالة وفي مقدمتها التعليل؛ فهي غاية مطلوبة إذا أخذنا بالحسبان غزارة نتاج الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان اللغوي وعمقه في المجال الصَّـــرفي، وبإمكان القارىء المطّلع على كتبه معرفة هذا الأمر، وإدراك الأســس العلمية الَّتي أقام عليها الشَّـــمسَـــان قناعاته اللغوية وتوجهاته الصَّـرفية الَّتي وإن كانت لا تختلف من حيث الجوهر مع ما قدّمه القدماء والمحدثون إلا أنه لا يكتفي بالوصـف لما هو موجود من المسـائل الصَّـرفية من دون مساءلة أو تشــكيك، مع ملاحظة أنه لا يجازف بتبنّي إجابات ســريعة وجاهزة لما هو معروض من مشكل لغوي، بل يترك الأمر يتدرّج وينمو ويتشــكّل وصـــولًا إلى إقرار نماذج حيّة من الإجابات اللغوية الَّتي تضع الأشياء في مسارها العلمي الصحيح.

وأما الغاية الثانية (التعليمية): فهي إبرازه للملامح التيسيرية في تقديم المسائل الصَّرفية وتحليلها؛ ولاسيّما أنَّ البحث الصَّرفي ((ما زال يثير النفور لما فيه من الصعوبة والعوص والدقَّة الَّتي أحسَّ بها القدماء أنفسهم، فجعلوا دراسته بعد النحو لكي ترتاض النفوس عليه وتتزوّد بما يعينها على أغراضه ومعانيه))[1]؛ وهنا تكمن أهمية المنهجية والمحاولات الشَّمسَانية الَّتي ينطلق فيها من التعليل بوصفه ممارسة تعليمية يلجأ إليها في تيسير الأحكام وتبسيط القواعد الصَّرفية الَّتي يقصد شرحها؛ ومردّ ذلك بحسب ما نراه إلى الغاية التعليمية الَّتي جاء من أجلها الكتاب ((ولا سيما أن التعليم من أدواته بسط الأمور

---

(١) تقويم المنهج الصَّرفيّ: ٩.

وتسهيلها إلى الحد الَّذي يستطيع المتلقي إدراك غاية ما يتعلمه وسبر أسراره))[١]

نخلص مِمَّا تقدَّم إلى أن أهمية ما يسعى إليه الدّكتور الشَّمسَان تكمن في ما ينصرف إليه من محاولات جادة وعميقة لردم الفجوة العلمية والتعليمية فيما بين الصَّرف العربي والمجتمع اللغوي ككل.

وعليه فإنَّ الأسس والآليات المعيارية الَّتي وَظَّفَهَا الشَّمسَانُ في كتابه، والَّتي ذكرنا بعضًا منها؛ قد جاءت بوصفها رافدًا مهمًّا وقويًّا من روافد النمو في اللغة العَرَبيَّة، والمستوى الصَّرفي على وجه الخصوص.

إنها المعيارية العَرَبيَّة الَّتي تريد((لمن يملك الفصحى أن يملك المفتاح الَّذي يتميّز عن بقية المفاتيح، إنَّه المفتاح الَّذي يفتتح به مالكه أبواب كل العصور التراثيَّة العَرَبيَّة، وأبواب كل

---

(١) التَّعليل الصَّوتيّ عند العرب في ضوء علم الصَّوت الحديث: ٤٤٣.

الأمصـار الناطقة بالعَرَبيَّة وتريده المعياريَّة كذلك؛ ليكون مفتاحًا باقيـًا يرثه الخلف عن السـلف ما دام خلف وسـلف على ظهر المعمورة))[١].

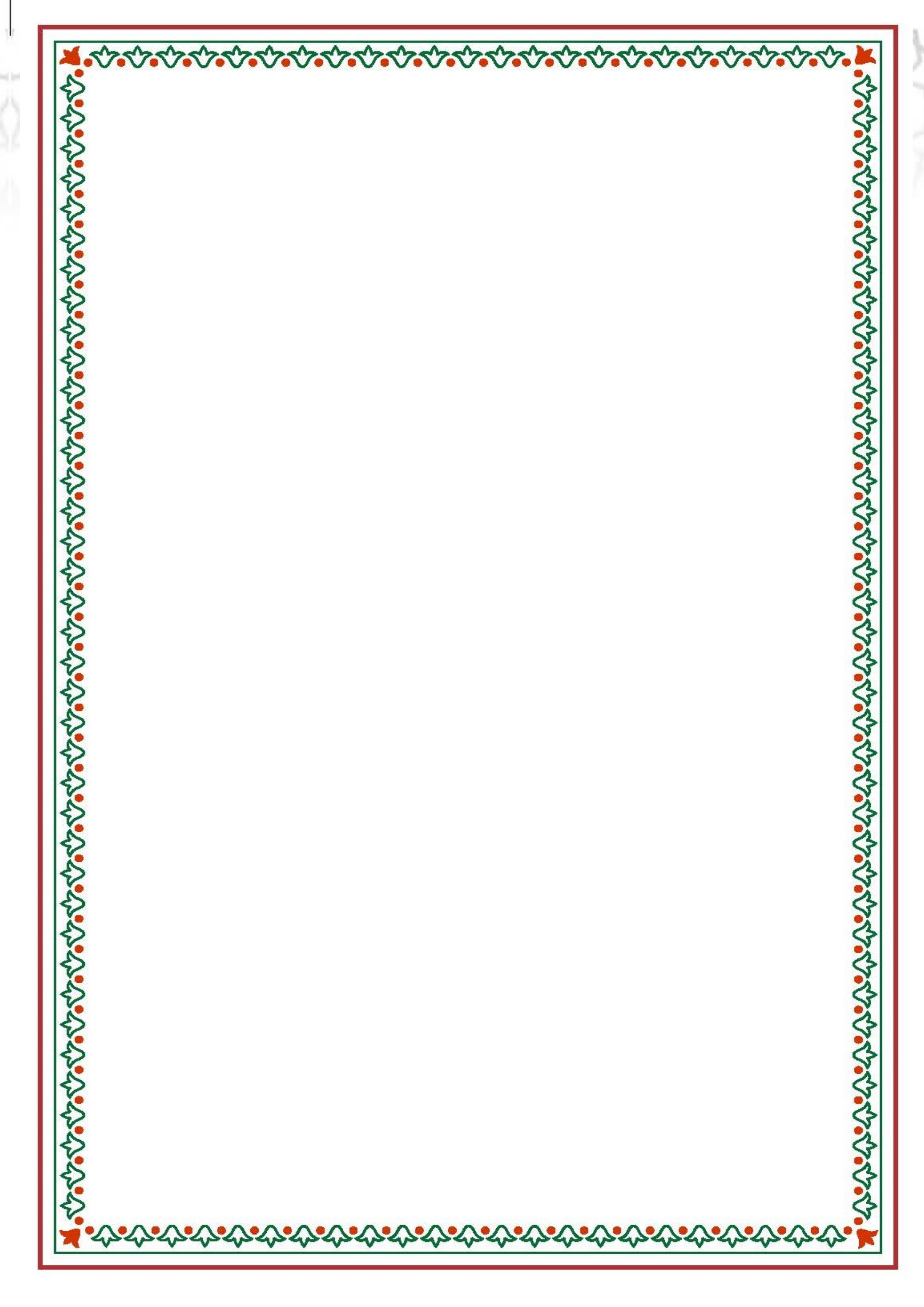
ولأجلـه فـإنَّ معيـاريَّـة الـدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان في كتابه(مظنَّة البحث) تسـعى في المقامِ الأول إلى تفسـير العلائق بين الكلمات وأبنيتها، وما يطرأ على تلك الأبنية والكلمات من تغيير في الشكل والمضمون من دون النَّظرِ إلَى الأصلِ التّأريخيّ للظاهرة وتطوّرها عبر العصور.

(١) تطبيقات في المناهج اللغوية : د. إسماعيل أحمد عمايرة : ٢٦٧.

المبحث الرَّابع

التَّيسيـــــــــر الصَّرفيّ

عند إبراهيم الشَّمسَان



المبحث الرابع

التَّيسير الصَّرفيّ عند إبراهيم الشَّمسَان

يقول الدّكتور إسـماعيل أحمد عمايرة: ((بلغ التفكير الصَّــرفي عند القدماء ذُرى تدعو إلى التأمل والإكبار فقد بحثوا الكلمة في أوزانها، وأصـولها، واشـتقاقاتها، وعلاقاتها بالسـياق، وما طرأ عليها من تبدلات صـوتية، وما تعاور عليها من مؤثرات صـرفية ونحوية...غير أنَّ هذا لا يعني أنْ يتوقف عند تلك الذرى دون أن يُراجع الدرس اللغوي مراجعة منهجية معاصـرة، تحاول أن تسهر على ذلك الجهد، وتعدّل بعض المفاهيم))[1]، ولاسيَّما أنَّ الإشكالية المنهجية في الدرس اللغوي بصورة عامة، والصَّرفي منه على وجه الخصـوص باتت جزءاً من أزمة الفكر العربي المعاصـر الَّذي أصـبح مسـرحًا لمحاولات تتأرجح بين اتخاذ

---

(١) تطبيقات في المناهج اللغويَّة : ١٧٩.

موقف وتحديد رؤية واختيار منهج[١]؛ انطلاقـًا من أنَّ كلّ ((مرحلة تفرض مفاهيمها الخاصة في ضوء الإطار المعرفي العام الَّذي يظلل أبعادها التاريخية أو الحضارية، وأن الباحث لا يقتنع دائما بالجمود على منهج واحد، ويتطلع إلى تجديد أدوات بحثه، وإلى محاولة فهم المنهجيَّة الإجرائيَّة الَّتي تحكم التفكير بصورة عامة بأدوات ومقاربة يفرضها التطوّر))[٢].

كل ذلك وغيره الكثير دفع الباحثين واللسانيّين العرب إلى تجاوز الأطر والمناهج التقليديَّة في الكثير من معالجاتهم ومدوناتهم الصَّرفية، وانتهاجهم المنهج التَّيسيريّ، بوصفه منهجًا يسعونَ عن طريقِهِ إلى الوصول للأحكام والقوانين والبِنَى الصَّرفية بيسرٍ وسهولة من جهة، ومحاولة إيصالها إلى المتعلِّمين

(١) يُنظر: التراث والحداثة ، د.محمد عابد الجابري : ٣٥.

(٢) البحث اللسانيّ الحديث في العراق ، د. حيدر محمد جبر : ١٥٣.

بالدرجة الأساس والمختصِّين باللغة العَرَبيَّة من جهةٍ أخرى، وبعبارة أخرى فإنَّ الباحثين العرب قد اتَّخذوا من التَّيسير سبيلًا ومنهجًا على المستويين التَّنظيريّ والإجرائيّ ولاسيما مع وجود ((إجماع بين علماء اللغة العَرَبيَّة وباحثيها على أنّ هناك مشكلة في تعلُّمِ اللغة العَرَبيَّة، وتعليمها سواء أكانت المشكلة تخصّ المناهج أم تخصّ طريقة إيصال المادة أم التأليف))[١].

ونظرًا للاهتمام الكبير الَّذي توليه الأبحاث العلمية بصورة عامة، واللسانيَّة منها على وجه الخصوص للمصطلح، وضرورة تحديده؛ لِما له من دورٍ فعالٍ في بناء النظريات والمناهج؛ ارتأينَا أن نجمعَ بعض المفاهيم والمعاني لضبط مصطلح (التيسير) من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية في

---

(١) مظاهر التَّيسير الصَّرفيّ، دراسة في قرارات مَجْمَع اللغة العربيَّة في القاهرة : د. محمد حسين علي زعيِّن : ٢٠.

المدونات العَرَبِيَّة؛ لأنَّ ((التحكُّم في المصطلح هو تحكُّم في المعرفة المراد إبلاغها والقدرة على ضبط أنساقها))[١].

والتَّيسير في اللغة مصدر الفعل يَسّر، على وزن فَعَّلَ، وهو ضد العِسر، وياسره: لاينه أي: ساهله، وهو التَّسهيل في الأمر والتسامح فيه[٢]، واليُسْر: هو اللين والانقياد يُقال: ((إنَّه لَيُسْرٌ، خفيف، ويَسرٌ، أي: لَيِّن الانقياد، سريع المتابعة، يوصف به الإنسان والفرس))[٣]، والمَيسَرة: السّعة والغنى، وقيل: هو التَّسهيل بعمل لا يجهد النَّفس ولا يثقل الجسم[٤].

---

(١) السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : ١١.

(٢) ينظر: لسان العرب : ٥/ ٢٩٥.

(٣) العين : ٧/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين الرازي : ٢/ ٣٨٦.

أمَّا في الاصطلاح فمصطلح التّيسير لم يبعد كثيرًا عن معناه اللغوي، فقيل: هو ((إزالة كل ما من شأنه أنْ يؤدِّي إلى إدخال الناس في مشاقٍّ لا يتحمَّلونها))[١]، وقيل أيضًا بأنَّ معنى التَّيسير هو ((ما يمسّ الجوهر لا يمسُّ العرض))[٢].

أمَّا ما يتعلَّقُ بمصطلح التَّيسير الصَّرفيّ فقد اجتهد قليلٌ من المُحْدَثين في تعريفه، فمنهم مَن يرى أنَّ التَّيسير الصَّرفيّ هو((كل محاولة تستهدف تسهيل القواعد الصَّرفية للمتعلِّمين مع مراعاة سنن العرب في ألفاظها))[٣]، ومنهم مَنْ يرى أنَّ التَّيسير الصَّرفيّ هو:((تنشيط الدرس الصَّرفي لاستيعاب المستجدّات اللغوية على مستوى الأبنية والصيغ والدلالات بما

---

(١) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام: ٣٣٣.

(٢) تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد ، أنيس فريحة : ١٧.

(٣) الخلاف الصَّرفيّ وأثره في تيسير الصرف . ٦٦:

ينسجم وسنن العَرَبيَّة الَّتي تقف وراءها مساحة واسعة من التراث اللغويّ))[١].

وممَّا تقدَّم من معاني التيسير في اللغة والاصطلاح نستطيع القول اجتهادًا: إنَّ مصطلح التَّيسير الصَّرفيّ يُفهم منه كلُّ محاولةٍ سواء أكانت تنظيرية أم إجرائية، تستهدف القوانين والبنى الصَّرفيَّة (القديمة والمستحدثة) وكيفية تقديمها للمتعلِّمين والمختصّين في اللغة العَرَبيَّة، بدءًا من اللغة المستخدمة في العرض، وليس انتهاءً بطريقة عرضها، وبما يمسُّ الجوهر الصَّرفي لا العرض، من دون اللجوء إلى الحذف أو الاختصار المخلّ، بل هي محاولات تبسيط وتسهيل تستهدف اللغة والأسلوب اللَّذين تُدْرس وتُدَرّس وتُعرض عن طريقهما

---

(١) مظاهر التَّيسير الصَّرفيّ، دراسة في قرارات مَجْمَع اللغة العربية في القاهرة : ٨٧.

القوانين والأنظمة الصَّرفية وبما ينسجم والأبنية والاستعمالات اللغوية(الصَّرفيَّة)عند العرب.

وتأسيسًا على ما سبق وبعد إنعام النظر في مدوّنة الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان الموسومة بـــ(دروس في علم الصَّرف)، اتّضح لنا أن الشَّمسَان لم يكن بمعزل عن الجو الثقافي الَّذي سادت فيه المحاولات التَّيسيريَّة، وفي المستويات اللغوية كافة، بل إنّ الشَّمسَان قد أفاد فائدة كبيرة من الطروحات اللسانيَّة والمعرفيَّة المعاصرة وقد استعار إلى حد كبير إطارها المفاهيميّ والمنهجيّ في تحليل الظواهر والمسائل الصَّرفية، ولذلك كانت أغلب إسهاماته بصورة عامة، والصَّرفية منها على وجه الخصوص ((من باب التيسير، فحاول تقديم درس تعليميّ في مجال الصَّرف وبعض الظواهر الصوتيَّة، وقد عالج أغلب المسائل الصوتية والصَّرفية في ضوء معارف العصر، وإعادة إحياء التراث، وحاول

أن يأتي برأيٍ جديد في كثير من المسائل... كما تميّز الشَّمسَان بالربط بين الحداثة والتراث خاصة فيما يتعلق بالصَّرف والأصوات، وهذا ما ميّز الشَّمسَان عن غيره من العلماء))[١]؛ فإذا كان البحث اللسانيّ المعاصر قد حرص على اعتماد الآليات والوسائل المعرفيَّة والمنهجيَّة الَّتي تجعل من مستوياته وخطابه أقرب إلى المعرفة والعلم، فإن الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان حاول السير في هذا الطريق التيسيري، وقد تجلّى ذلك عِبْرَ تبنّيه مجموعة من الآليات التفسيريَّة والتَّيسيريَّة الَّتي تساعده على تحقيق هذا المسعى، وانطلاقًا من ذلك كلّه يمكننا تحديد بعض الآليات والوسائل التَّيسيريَّة الَّتي اعتمدها الشَّمسَان في كتابه (مظنّة البحث) وعرضها على النّحوِ الآتي:

---

(١) إسهامات ابراهيم الشَّمسَان في الدرس اللغويّ : (رسالة) : ٨٥.

- **المحور الأول: الميزان الصَّرفي بوصفه آليَّة تفسيريَّة**

كلَّما تقدَّمت وسائل الكشف عن الأسس الصَّرفية العَرَبيَّة، أو عن الأصل الَّذي تنحدر منه الألفاظ في اللغة العَرَبيَّة، وما يصيب أبنيتها ومقاطعها من تجرّد وزيادة، وصحة واعتلال و... كان ذلك بمثابة عين إضافية لإعادة قراءة المدوَّنة الصَّرفية في ضوء المناهج اللغويَّة الَّتي تستند في عموم فلسفتها على الكشف عن القضايا الخفيّة في ظواهر الألفاظ.

فكيف ونحن نتحدث عن((مقياسٍ وضعه علماء العرب لمعرفة أحوال بنية الكلمة))[1] إنَّه (الميزان الصَّرفي) الَّذي يشكِّل عن طريقِ علاقته بالبِنَى الصَّرفيَّة واحدًا من أعمق الإشكاليَّات، وأكثرها إثارة ومحاولة فتح مغاليق الأبنية الصَّرفية، والكشف

---

(١) التَّطبيق الصَّرفي، د. عبده الراجحي: ١٠، وينظر: المهذّب في علم التَّصريف: ٤٧.

عن أســرارها وخباياها، ولعلَّ من انعكاســات ذلك أن اعتنى الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان بهذه الآليَّة التفسـيريَّة والكشـفيَّة - إن جاز لنا الوصــف- بوصــفها ((أحســن ما عرف من مقاييس في ضبط اللغات))[١]، وعلى هذا فهوَ يرى أنَّ ((ما يهمّنا هو الميزان الصَّـرفيّ للكلمات، فلمعرفة الميزان الصَّـرفي أهميَّة بالغة إذ هو الكاشــف لإحاطة المتعلم بكافة المســائل الصَّـرفية من جمود وتصـرّف واشـتقاق، وتجرّد وزيادة وصـحة واعتلال))[٢]، ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد، بل إن المعرفة بالميزان الصَّرفي على وفقِ الرؤية (الشَّــمسَــانية)؛((خير دليل لمعرفة المشــكلات الصَّرفية الَّتي تحتاج إلى فضـل معالجة وزيادة في التدريب، وهي كاشــفة عند التحليل للطريقة الَّتي يفكِّر بها المتعلِّمُ عند الإجابة

---

(١) التَّطبيق الصَّرفي : ١٠.

(٢) أخطاء الطلاب في الميزان الصَّرفي ، د. إبراهيم الشَّمسَان :٣.

ومحاولة وزن الكلمات، ويمكننا برصد هذه الأخطاء وتحليلها أن نصِل إلى ترتيب المشكلات الصَّرفية حسب الأهمية الَّتي يكشف عنها البحث))[١].

ولذا نجده في كتابه(مظنَّة البحث) يفتح نافذةً جديدةً لمناقشةٍ واعيةٍ تخصُّ الميزان الصَّرفي، وبأسلوبٍ ميسّرٍ يبيِّن عن طريقه السبب الَّذي من أجله كان هذا الميزان، وكيف أن اختلاف الكلمات يجعل بها حاجة ((إلى مقياسٍ يحدد اختلافها بعضها عن بعض))[٢]؛ إذ إنَّ الفائدة من الميزان الصَّرفي تكمن في أنه((يحدِّد صفات الكلمة؛ فهو يبيّن إن كانت مجردة أو مزيدة، ويبيّن إن كانت تامّة أو ناقصة، ويختصر الحديث عن الكلمة؛

(١) أخطاء الطلاب في الميزان الصَّرفي: ٤.

(٢) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٢٠.

فإذا قلتَ إنَّ كلمة (دَعْ) على وزن (عَلْ) علمتً فورًا أنَّ الكلمة ناقصة؛ إذ الحرف الأول منها محذوف))[١].

ولعلّ ذلك ما دفعنا إلى أن نحكم بأنَّ تصوّرات الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان عن الميزان الصَّرفي الَّذي جعله فاتحة لكتابه(دروس في علم الصَّرف)تمثِّل رؤية لغويَّة(صرفيَّة) جديرة بالتقدير والمعاينة إذ إنَّ ((الميزان الصَّرفي على هذا النحو هو آليَّة من آليات تيسير الصَّرف تعليمًا وتعلّمًا، فهو يضع أيدينا على أصواتٍ معروفةٍ بها نتحقّق ممَّا يطرأ على ألفاظ العَرَبيَّة من تغيير))[٢].

وعلى أية حال يمكننا أن نتلمَّس آثار هذا التوجيه التيسيريّ للميزان الصَّرفي على وفقِ الرؤية الشَّمسَانيَّة عِبْرَ طريقة

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ١/ ٢٠.

(٢) مظاهر التيسير الصَّرفي دراسة في قرارات مَجْمَع اللغة العربية في القاهرة : ٨٣.

عرض الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان للميزان الصَّرفي، فقد عرضه على شكل درسٍ مفصّلٍ، ومقسّم وبطريقة شاملة وسهلة وبأسلوب تعليميّ محض؛ إذ تدرّج في عمليّة الشّرح مستعينًا بأسلوبٍ ميسّرٍ خالٍ من التعقيد، ليبدأ بعرضِ مكوّنات الميزان الصَّرفي ثم وضح كيفيّة وزن الكلمات، ذاكرًا الحالات الَّتي من الممكن أن تصيب الكلمة في أثناء الوزن... وبعد ذلك انتقلَ للحديث عن ظاهرةِ القلب المكانيّ موضّحًا إياها بطريقة مبسّطة من دون التطرّقِ للحديثِ عن آراء المُحدَثين والقدماء فيها[١].

ويمكن بعد ذلك القول: إنَّنا بإزاء آليَّة تيسيريَّة بات من الضروري الوقوف أمامها واستنطاقها درسًا وبحثًا، ولابُدَّ أن ينهض الخطاب اللسانيّ(الصَّرفي)- على وجه التحديد -على

---

(١)ينظر: دروس في علم الصَّرف:١٩-٤٠، وإسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدَّرس اللغويّ(رسالة):٦٠-٦١

رؤية شـــاملة؛ ليكونَ قادرًا على تقديم مقارباتٍ وصــفية تتَّســم بالتجرّد والعمق والرصـــانة عن(الميزان الصَّــرفي)، وأهميته في الدرس اللســاني عند العرب قديمًا وحديثًا؛ إذ يرى الدّكتور إبراهيم الشَّــمسَـــان أنَّ ((التحليل الصَّــرفيّ يعتمد على عدد من الخطوات المتراكمة الَّتي من شـأنها أن تصــل إلى نتيجة تحليليَّة موفّقة، وأول خطوة هي تحديد الكلمة الصَّرفية موضوع التحليل ثم البحث عن جذورها باستدعاء شجرتها اللفظيَّة المعجميَّة، ثمَّ بيان ميزانها الصَّرفي وبذلك تصبح الطريق ممهّدةً لمعرفة جوانب الكلمة المختلفة من حيث الجمود وغير الجمود، والتجرّد والزيادة والصــحة وغير الصــحة، والميزان الصَّــرفي هو محور التحليل الصَّــرفيّ فهو حاضــر في كل معالجات الموضــوعات الصَّرفيَّة، ولذلك حسن أن تتقدّم معرفته، وربما يحسن أن يبدأ به

في صــورة مبسَّــطة تخصُّ ما صــحّ من ألفاظ الكلم، ثم يعاد إليه بالتطوير مع كل موضوعه)) [١]

- **المحور الثاني : الافتراض بوصفه آليَّة تفسيريَّة**

يقول (مارتن هدجر) في كتابه (مبدأ العلة): ((كلّما نتعمق بالأشياء ونؤسِّس على العلل نجد أنفسنا في الطريق إلى الأصل الأساس، فنحن مدعوون دومًا ودون أن ندري ما المقصود بدقة إلى التنبُّه إلى العلل، إلى الأصــول))[٢]، وبلحاظ ذلك فإنَّ فعل التعليل أو البحث عن الأصــل يكاد يكون متجذّرًا في الفِكر الانسانيّ متأصِّلًا فيه، وهذا ما يفسّر ((هيمنة فكرة الأصل والفرع على مجمل التفكير اللغويّ العربيّ منذ القديم وحتى العصـر الحديث ففي كل جهة من جهات الدراسة اللغوية حالة أولى هي

---

(١) مراسلة الكترونية مع الدكتور إبراهيم الشَّمسَان بتاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠١٩.

(٢) مبدأ العلة ، هيدجر مارتن ، تر: د. نظير جاهل : ٥.

الأصـل ثم يعرض لها ما يغير هذا الأصـل فيكون فرعًا أو طائفة فروع))[١].

ويمثِّل الافتراض، أو الدليل الافتراضيّ صورةً من صور هذا المنحى، الافتراض الَّذي تتأتَّى أهميته من كونه يمثِّل مرحلة التفكير العميق، وتصوّر النتائج، وتخمينها، ثم صياغة القواعد في دراسة أي علم من العلوم ولذلك فقد اتَّخذ القدماء من الافتراض وسيلة لفهم اللغة، وهذا دليل تنظيم عقليتهم اللغويَّة؛ لأنه يحتاج من المفترِض ذهنًا ثاقبًا وفكرًا نافذًا، ونظرًا حادًّا لكي يستطيع أن يفترض في اللغـة[٢]، والافتراض في الـدرس اللغوي الحـديـث يُعرّف بأنـه: ((إرجاع صـورة حاضـرة إلى صـورة مفترضـة

(١) مفهوم الجملة في كتاب سيبويه ، د. حسن عبد الغني : ٢٢٢.

(٢)ينظر: الافتراض الصَّرفي دراسة في ضوء علم اللغة الحديث(أطروحة)حيدر عبد علي حميدي: ٣٢٤.

متوهّمة))[١]، أو هو: ((اجتهادات شـكليَّة لا علاقة لها إطلاقًا بالاستعمال الفعليّ))[٢].

أمَّا عند الصَّـرفيين - الَّذين أكثروا منه، واسـتعملوا أساليب متنوعة في عرضِ افتراضاتهم - فيُعَرَّف الافتراض الصَّرفيّ بـأنـه: ((ظنّيّاتـه الَّتي يحكمُ البرهـان والتجربـة بصـحتهـا أو بطلانها))[٣]، ويعرّف أيضًا بأنه: ((تصوّر ذهنيّ تقديريّ اجتهاديّ يلجأ إليه الصَّـرفيون لتفسـير الظواهر المتعلّقة ببنية الكلمة واستقامة صنعتهم وتقعيد القواعد وتعليلها))[٤].

---

(١) دراسات في علم اللغة : ٢٤١.

(٢) في علم اللغة التقابليّ : ١٦٣.

(٣) تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث : د. حسام قدوري عبد: ٧٠.

(٤) الافتراض الصَّرفيّ دراسة في ضوء علم اللغة الحديث (أطروحة) : ٣٤.

وبناءً عليه فإنَّ للافتراض في المســتويات اللغويَّة كافة، والصَّــرفيّ منها على وجه الاختيار، أثرًا كبيرًا وملموسًــا في معرفة الطبيعة الخلاّقة فيه، فبوساطته تتجاوز الوصف المحض في اللغة ككل إلى تفسير ظواهرها تفسيرًا عقليًّا، ولذلك يشكّل الافتراض في اللغة دليلًا على تنظيم العقليّة اللغويّة عندَ القدماء(١).

وفي هذا الســياق نجد أنّ الافتراض الصَّــرفيّ قد اســتأثر باهتمامٍ كبيرٍ من لَدُن الدّكتور إبراهيم الشَّــمسَــان، وَيَتَجَلَّى ذلك الاهتمام في كتابه(دروس في علم الصَّــرف) ؛ إذ نجد أنَّ توظيفه للأدلة والتعليلات والصور الافتراضيَّة الَّتي ارتشفها من القدماء والمحدثين، يدلُّ دلالةً واضــحةً على أنَّ الافتراض عنده يُشَــكِّلُ جزءًا من غـايتـه التعليميَّة، وأداة منهجيَّة ينطلق منهـا لمنـاقشـــة

---

(١) ينظر: النَّحو العربي والدرس الحديث : د. عبده الراجحي : ١٤١– ١٥٩.

المشكلات النظريَّة والتطبيقيَّة في شرح القواعد والبِنَى الصَّرفيَّة وتحليلها، ومحاولة إيصال ذلك إلى المتلقّي بيسرٍ وسهولة، وبطريقة ربما لم يألفها المتلقّي العربيّ في علاقته مع المستوى الصَّرفيّ، على أنَّ هذا يُعَدُّ من أهم أهداف الأدلة الافتراضيَّة لديه.

وانطلاقًا من ذلك فإننا في كتابه(مظنَّة البحث) بإزاء عدَّة نماذج افتراضيَّة واصفة، ومحلّلة للبِنَى الصَّرفيَّة وأصولها، على أنَّها قد تتباين في التفاصيل ولكنها في النهاية تبقى ذات توجُّه تيسيريّ متجانس، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله في مسألة القلب المكاني: ((كيف نعرف أيّ اللفظين هو الأصل، وأيّهما المقلوب؟ هناك طرق منها: أولًا : الرجوع إلى الأصل؛ أي: الرجوع إلى المصدر وإلى المفرد في الجموع فمثلًا (راءَ) و(رأى) نجد المصدر هو الرؤية فنعلم إذن أنَّ الكلمة مرتّبة على هذا النّحو (ر، أ، ى)؛ إذن فـ (رأى) الأصل، و(راء) مقلوبها...،

ثانيًا: كثرة تصاريف الأصل فـــ(الجاه) مقلوب الوجه؛ لأنَّنا نجد الوجاهة، الوجوه، الوجهاء، الوجيه، الأوجه، التوجه، واجهة، مواجهة، كل هذا يدلُّ على أنَّ مادة (و، ج، هـــ) أصل، ثالثًا: كثرة الاستعمال تدلُّ على الأصل عند التَّساوي في التعريف...، رابعًا: وجود منع الصَّـــرف؛ أي التنوين دون مقتضـــى وســـبب؛ مثل (أشياء) فهي ممنوعة من الصَّرف من دون سبب لولا القول بأنها مقلوبة؛ فالقول بأنها مقلوبة يسوّغ منعها من الصَّرف...، سادسًا: أن يترتّب على عدم القلب وجود همزتين في الطرف، فنحن نقول في اســـم الفاعل من الفعل (بَاعَ): (بايع) ثم نقلب الياء همزة: (بائع) فما هو اسم الفاعل من فعل مثل (جاء)؟ إن اتّبعنا الطريقة الســـابقة ســـنقول: (جايئ)؛ ولكنّنا في الواقع لا نقول: (جائئ) بل(جائي) وحسب؛ وهذا يعني أنَّنا نجري قلبًا مكانيًّا بين حروف الكلمة تحلّ بمقتضـــاه الهمزة محل الياء، وتتقدّم الياء في موضـــع

الهمزة ونفعل هذا هروبًا من توالي الهمزات الَّذي هو أمر في العَرَبيَّة مرغوب عنه، ويصير ميزان اسم الفاعل(جائي) المقلوبة(فالع) بدلًا من (فاعل) وهذا يفضي بنا إلى قضيةٍ متّصلةٍ بالقلب وهو ما يُسَمّى بالقلب القيَاسِيّ))(١).

وهكذا يعمل السؤال الشَّمسَانيّ على خدمة الغايتين العلميَّة، والتعليميَّة؛ فهو بمثابة الحجر الأساس الَّذي تستند إليه عملية البناء التّأسيسيّ، والافتراضيّ عند العرب، فضلًا عن كونهِ منهجًا علميًّا رصينًا يعمل على تعويد الفِكْرِ اللسانيّ وتنميته من أجل إثراء المسائل والقضايا الصَّرفية المتعددة وبما يتيح من المجالات الَّتي تتعدَّد فيها الرؤى والأفكار والتعليلات الافتراضيَّة القيّمة؛ فعن طريق السّؤال استطاع الشَّمسَان أن يميط

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٣٨- ٤٠.

اللثام عن البنية النواة أو الأصل الَّتي تتشكّل منها بقية الألفاظ المقلوبة عنها.

ويصدق هذا أيضًا على حديثه عن أدلة الزيادة في الأبنية العَرَبيَّة؛ إذ يرى أنّ ثمّة جملة من الشواهد والتصوّرات المعيّنة على معرفة الحروف المزيدة، يقول الشَّمسان: ((... انعدام النَّظير: ففي الكلمة (تَتفُلُ) لو حكم على أنَّ التَّاء الأولى غير زائدة؛ لكان الوزن(فَعْلُل)، وهذا الوزن لم تأتِ عليه كلمات مجردة أخرى؛ إذ ليس من أبنية المجرد مثل هذا البناء؛ ولكن لو حكم عليه بالزيادة لاستقام الأمر، فله نظير هو(تَنْضُبُ): نوع من الشجر على وزن (تَفْعُلُ))[١].

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٩٠.

وعلى ذلك يكون الاستدلال العقليّ والافتراضيّ الَّذي ينطلق منه الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان؛ وعيًا بالخطوات الَّتي تُتّبع في سبيلٍ يُفضي إلى حقائق الألفاظ وتبيان أصولها انطلاقًا من كون الاستدلال بعدم النظير واجبًا إن قام الدليل؛ ((لأنَّ إيجاد النظير بعد قيام الدليل إنما هو للأنس به لا للحاجة إليه))[١]، ولا يمكنه أن يغضّ الطرف عن حضور الافتراضات في مسائل التصغير والتكسير؛ فهناك ((مقولة مشهورة؛ هي إن التصغير وجمع التكسير يردان الأصوات إلى أصولها))[٢].

والحال يصدق على مسائل الإعلال والإبدال؛ إذ إنَّ الافتراض يكون هنا عن طريقِ تصوّر الأصول قبل الإعلال، أو الإبدال، ومن ذلك – على سبيلِ المثالِ – ما ذكره الشَّمسَان في

---

(١) الخصائص ، ابن جني : ١/ ١٩٨.

(٢) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٥٤.

حديثه عن إعلال النقل(التسكين) الَّذي يقع في أربعة مواضع ومنها: ((الفعل الأجوف إن كانت عينه واوًا أو ياءً متحرّكين وقبلهما صحيح ساكن، ولم يكن الفعل للتعجب، ولا مضعّف اللام، ولا معتل اللام، مثل : طَالَ (مضارعه) يطْوُل(بالنقل) يَطُوْل، بَاعَ (مضارعه) يَبْيع (بالنقل) يَبِيْع،... وقد ينتج عن إعلال النقل إعلالٌ بالقلب، نحو :خاف (مضارعه) يَخْوَف (بالنقل) يَخْوف (بالقلب) يخاف، بيان الإعلال: تحركت الواو حسب أصلها قبل نقل الحركة، ثم انفتح ما قبلها بعد نقل الحركة فقلبت إلى ألف تطبيقًا للقاعدة إذا تحرّكت الواو وانفتحَ ما قبلها قُلِبَت ألفًا))[1].

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ٢/ ١١٤– ١١٥.

ويظهر لنا ذلك أيضًا في حديثه عن غرابة البناء بوصفها من الوسائل الَّتي نتعرّف بها على الحرف المبدل من غيره، يقول في ذلك إبراهيم الشَّمسَان:((إذا ورد في كلمة حرف يجعلها على بناء غير مألوف حكم عليه بأنه مبدل عن الكلمة المطابقة له بالمعنى مثال ذلك(هراق) فإنْ لم نقل بأنَّ الهاء مقلوب عن الهمزة الموجودة في كلمة(أراق)فلابدّ من القول إنها على وزن(هفعل) وهذا ليس له نظير، ومثل ذلك (اصطبر) نحكم بقلب التاء إلى طاء، فإن لم نفعل لزمنا القول: إنّ الفعل على وزن (افطعل)))[١].

وعلى هذا النحو يقدّم لنا كتاب (دروس في علم الصَّرف) محاولة جادّة في إحياء البحث الافتراضيّ التأويليّ- الاستنطاقيّ

---

(١) دروس في علم الصَّرف: ٢/ ٩٩.

- في الصَّـــرف في زمن طعنت فيه المدوّنات والأفكار المتأثّرة بالمناهج الشـــكليَّة المكتفية بآليتها الوصـــفية؛ البحثَ اللغوي والصَّـــرفي منه على وجه التحديد؛ فمن بين ما يقدّمه أصـــحاب تلك المدوّنات مقولتهم الَّتي يرون فيها ((أن ســـرد مثل هذه الألفاظ وتقليب وجوهها المفترضـة مضـيعة للوقت، فضـلًا عمَّا فيها من التنفير والتعسير))[١]، في الوقت الَّذي يبقى فيه الشَّمسَان وفي أثناء معالجته للمســـائل الصَّـــرفية أمينًا لمنطقة الافتراض وصـــوره الاســـتنطاقيَّة المتعددة الكاشـــفة عن بواطن عميقة في داخل النظام اللغويّ عند العرب.

وفي ضوء هذا الفهم يتّضح لنا أنّ للمنهجيَّة الافتراضيَّة في البحث الصَّـــرفي دورًا كبيرًا في إيضـــاح الكثير من الاســـتخدامات

---

(١) تقويم المنهج الصَّرفي : ١١٩ .

اللغوية وبيانها، والكشف عن كنه البِنَى الصَّرفية؛ ولاسيما أنَّها تحاول الإحاطة بكل أبعاد اللفظ العربيّ عِبْرَ إجابتها عن الأسئلة المفترضة الواسعة؛ فكان أن صار الافتراض آليَّة تيسيريَّة وطريقة تأويلية إيجابية هادفة تساعد ((الصَّرفيين على وضع قواعدهم واطّرادها))(١)، فضلًا عن ذلك فإنَّ القول بها ((يكفل للصَّرفيين وضع قواعد كليَّةٍ عامةٍ لصوغ الأبنية في العَرَبيَّة إذ يعتمدون في صوغِ تلك القواعد على الأصلِ المجرّدِ والمشتركِ بين أمثلةٍ كثيرةٍ من الكلمات))(٢).

- **المحور الثالث: توظيف القرارات المَجْمَعيَّة**

لا يختلف اثنان علَى أنَّ الأمم الحيّة تتسابق في سبيل خدمة ثقافاتها ولغاتها، وتبذل جهدًا كبيرًا في سبيلِ استثمار

---

(١) الافتراض الصَّرفي دراسة في ضوء علم اللغة الحديث(أطروحة) : ١٥٧ .

(٢) دور البِنيَة الصَّرفية في وصف الظّاهرة النَّحويَّة وتقعيدها : ١٠٦ .

الإمكانات المتاحة عالميًّا في سـبيلِ نَشـرِ الثقافة واللغة، واللغةُ العَرَبيَّةُ بوصـفها لغةً حيَّةً اسـتطاعَتْ أن تسـتجيب لمتطلّباتِ العصـرِ وأسـاليب الحضـارة، وَتَمَكَّنَتْ من إعادةِ قراءةِ قواعدها وتراكيبها وصـياغتها بشـكلٍ يتلاءم وأذواق المتعلِّمين؛ ولذلك ظهرت دعواتٌ في العصـر الحديث تُطَالِبُ بتيسـيرِ اللغة العَرَبيَّة ومسـتوياتها، وهي دعوات حديثة قديمة أراد أصـحابها تيسـير أبواب الصَّـرف والنحو على الدارسين ولذلك أُنشِئَت المجامعُ اللغويَّةُ العَرَبيَّةُ، ومنهـا (مَجْمَع اللغـة العَرَبيَّة في القـاهرة) الَّذي عَمِل على إصـدار عدّة قرارات غايتها تيسـير القواعد الصَّـرفية العَرَبيَّة وتسهيلها على المتعلِّمين[١].

(١) ينظر: تطبيقات في المناهج اللغويَّة: ٢٩٥، وقفة مع بعض قرارات المَجْمَع العلميّ المتعلِّقة بالتيسير الصَّرفيّ (بحث): د. عادل نذير الحسَّاني، أ.م. آلاء عبد نعيم: ٨٩.

ومن ثَمَّ ((فإنَّ المجامع اللغويَّة لم يكن الهدف من إنشائها ترفًا فكريًّا وعلميًّا ومحاولة زيادة مؤسَّسات حكوميَّة أو غير حكوميَّة أو محاولة لإثبات وجود كفاءات لغويَّة وعلميَّة أو محاولة إظهار واجهة علميَّة أمام البلدان الأخرى من دون طائل علميّ، بل هي حاجة أفرزتها متطلَّبات المرحلة والمتغيّرات الَّتي تواجه العالم، وما ينتج من وراء ذلك من متغيّرات على العَرَبيَّة الفصحى، ومحاولة التصدّي لمشكلات هذه اللغة ومعالجتها))[١]، ولعلَّ هذا الأمر يفسِّر لنا كثرة قرارات مَجْمَع اللغة العربيَّة في القاهرة المُتَعَلِّقَة بالتَّيسير الصَّرفيّ مقارنةً بالقرارات الَّتي تتعلَّقُ بالتيسير النحوي، لِما في المسائل الصَّرفيَّة من صعوبةٍ تحتاج في طلبها إلى عقليَّة أقوى ممَّا قد يحتاجها

---

(١) مظاهر التَّيسير الصَّرفيّ دراسة في قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة: ٦١-٦٢.

النحو من جهـة، ولكثرة المخترعـات الَّتي تحتـاج إلى صـيغ وتراكيب تتّفق مع صيغ العَرَبيَّة وتراكيبها من جهةٍ أخرى(١).

ولنا بعد هذا أن نقول : إننا إزاء هذه التصوّرات والحقائق لا نستغرب عندما نجد الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان في كتابه(دروس في علم الصَّرف) الَّذي كتب على نفسه الغاية التعليميَّة والتيسيرية فيما يقدّم؛ تلك الغاية الَّتي تدعو فيما يُفهم منها إلى الحذف والاختصـار غير المخلّين، يسـتأنس ويتوسَّـع في ذكر المقولات والقرارات الَّتي أصـــدرها مجمعُ اللغةِ العَرَبيَّةِ في القاهرةِ لما لها من دور فعّال في فتح آفاق جديدة تتّســم باليُســر والسّــهولة في مسالكها، الأمر الَّذي يُمَكِّنُ اللغة العَرَبيَّة – بما تمتلكهُ من حيويّةٍ وديمومةٍ – من مواكبة مســتجدّات العصــر، ومســايرة التّطوّرِ

---

(١) ينظر: وقفة مع بعض قرارات المَجْمَع العلميّ المتعلِّقة بالتَّيسير الصَّرفيّ، (بحث): ١١١.

المدنيّ والعلميّ والحضَاريّ، ولا سيمَا أنَّ مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة قد عُني ((بحلِّ مشكلات الكتّاب والمتكلِّمين ومترجمي العلوم الأجنبيّة إلى اللغة العَرَبيَّة، فوضع لهم اصطلاحات وأسماء عربيَّة تقوم مقام الكلمات الأعجميَّة، وقَبِلَ ألفاظًا مفردة ومركبة تدور على ألسنةِ أهل العلوم المختلفة، وفتح لهم بابًا من أبواب اللغة العَرَبيَّة تدخل منه، وهو بهذا يراعي حاجات أولئك الكاتبين والمتكلِّمين إلى تلك الألفاظ أو التّراكيب المُحدثة))(١).

وبناءً عليه فإنَّ تسلُّح الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان بقرارات مجمع اللغة العَرَبيَّة في القاهرةِ ومحاولة الإشارة إليها قاده للكثير

---

(١) القرارات النَّحويَّة والتَّصريفيَّة لمجمع اللغة العَرَبيَّة بالقاهرة ، جمعًا ودراسةً وتقويمًا ، إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام ١٩٩٥م، خالد بن سعود بن فارس العصيميّ: ٦٦٦.

من المســارات التَّيســيريَّة الَّتي ينشــدها، ويمكننا أن ننطلق معه كضــرب من المعاينة على ذلك عِبْرَ حديثه عن اشــتقاق اســم المكان من الأســماء الجامدة ؛ إذ يقول: ((اشــتقّوا من الأســماء الجامدة اســم مكان على بناء(مَفْعَلَة) للدّلالة على كثرة ما اشــتقَّ منه في هذا المكان، مثل : مَسْــبَعَة كثيرة السّــباع، مَأْسَــدَة كثيرة الأسود، مَذْأَبَة: كثيرة الذئاب، مَحْيَاة، كثيرة الحيات، مَفْعَاة كثيرة الأفاعي، مَقْثَاة كثيرة القثّاء، وقد قرَّرَ مَجْمَعُ اللغة العَرَبيَّة قياســيَّة هذا الاشتقاق))[١]

وقوله في موضــع آخر من كتابه: ((المصــدر الصِّــناعيّ هو المصدر المصوغ بإضافة ياء مشدّدة إلى اللفظ وتاء التأنيث، وقد أصــدرَ مَجْمَعُ اللغةِ العَرَبيَّة بالقاهرة قرارًا بقياســيَّة هذا المصــدر

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٧٨.

من أيِّ لفظ؛ وذلك لكثرة ما ورد منه، ولما له من أهميّة بالغة في التعبير عن الأفكار ومن أمثلته:

١- من الاسم الجامد : إنسان(إنسانية)

٢- من اسم الفاعل : جاذب(جاذبية)

٣- من اسم المفعول: معلوم(معلوماتيَّة)

٤- من صيغ المبالغة : حاسوب (حاسوبيَّة)...))[1].

ويصدق الحال على ما يُذكّر ويؤنَّث من الأسماء المحايدة (غير الحيوان) ؛ إذ يذكر الشَّمسان أنَّ مجمع اللغة العربية في القاهرة يرى: ((أنَّ أسماء غير الحيوان الخالية من علامات التأنيث إما واجبة التأنيث، وإما واجبة التذكير، وإما جائزة الأمرين ولو في رأي، وأن التيسير على المتعلمين يدعو

---

(١) دروس في علم الصَّرف : ١/ ٦١ .

إلى ضبط الأمر بما يلي أ ــ واجب التأنيث، وأشهر المنقول من أمثلته: من أعضاء الإنسان: العين الأذن، السرة،... ماعدا الواجب التأنيث فتذكيره صواب))[١].

الواضح من القرارات الَّتي يُصدُرها مجمع اللغةِ العَرَبيَّةِ في القاهرةِ أنَّ ثمَّة فكرة أساسيَّة فيها ألا وهي قدرتها على خلق أنساق وسياقات تيسيريَّة جديدة، لا تحيد عن استخدامات القدماء؛ ولذلك فإنَّ الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان وهو بإزاء توظيف هذه القرارات والأفكار التَّيسيريَّة لم يكن بعيدًا عن مرجعيّات التفكير اللغويّ عند القدماء ، إذ ((لم يكن التَّيسير غائبًا عن ذهنيَّة علماء العَرَبيَّة القدماء، لكنه كان الأبرز في القرن الرابع الهجري... فقد تهيَّأ لذلك القرن عَلَمٌ بارزٌ في العَرَبيَّة عامَّة، وفي

(١) يُنظَرُ : دروس في علم الصَّرف : ٢/ ٢٢-٢٣.

علم التَّصـريف خاصـة (الحديث هنا عن ابن جني) فراح يتلمّس الطرائق الكفيلة بتيسـير المسـائل الصَّـرفية بعدما أحسَّ بصـعوبة التَّصريف ووعورته))[١]

والحال يصــدق على الدّكتور إبراهيم الشَّــمسَــان الَّذي يقول ما نصّه:((سعيتُ إلى ذكر قرارات المَجْمَعِ للاستفادة منها، إذ فيها تســديدٌ لما جاء في التّراث وتيســير، ولأربط بين التليد والعتيد، ولأبيّن لطلابي أولاً ثمّ لقرّاء الكتاب آخرًا أنَّ تراثنا ليس ركامًا جامدًا منتهى من أمره بل هو حيٌّ يقبل المراجعة والزّيادة والتعديل، وأن علماء اليوم هو أحفاد علماء الأمس ولهم حق الاجتهاد ما كان لأجدادهم))[٢].

---

(١) ابن جني ميسّرًا صرفيًّا (أطروحة) : حوراء أحمد العامري : ١٦٣.

(٢) مراسلة إلكترونيَّة مع الدكتور إبراهيم الشَّمسَان بتاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠١٩م.

ولعلّ ذلك ما دفعنا إلى أن نحكم بأنَّ تصوّرات الشَّمسَان وعمله على توظيف القرارات التَّصريفية الَّتي يصدرها مَجْمَعُ اللغة العَرَبيَّة في القاهرة، تمثِّلُ رؤيةً علميَّةً وتيسيريَّةً واجتهاديَّة جديرة بالاحترام.

ويمكن القول: إنّ إسهام الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان قد انصَبّ أساسًا على إخراج المتن والمعلومة الصَّرفية (التراثية والمستجدة) بطريقة متناسبة وروح العصر والظروف التعليميَّة السائدة فنجده مثلًا ينتهج من الجداول الصَّرفية ((طريقة جديدة لتعلم الصَّرف، وهي من الطرق الحديثة الَّتي تنتظم المعلومات وتسهلها، وتعدُّ من الطرق الحديثة الَّتي استخدمها الشَّمسَان في التَّيسيرِ الصَّرفي، وعالج من خلالها عددًا من القضايا الصَّرفية،

ومنها الاشتقاق ...والوقف))[١] إيمانًا منه بأنَّ المسائل الصَّرفية ومعطياتها لم تكن فعلًا غريبًا صــرفًا عن المتعلِّم العربي وإنما المشــكلة تكمنُ في منهج التـدوين، وطريقـة العرض، واللغـة المستخدمة في الوصـول إلى الغاية المنشـودة، إذ يشير في مقدمة (جداول التدريبات الصَّــرفية)- الكتاب الَّذي يعدّ مكمِّلًا لكتابه دروس في علم الصَّـرف- إلى أنَّ ((علم الصَّرف في المقام الأول هو مجموعة من المهارات المكتســبة الَّتي لا تحصــل بالتعلُّم النَّظريّ وحده إذ لابدَّ من تعميق ذلك بطائفةٍ من التدريباتِ الَّتي تعمِّقُ النظرية وتمكّن الدارس من التَّحليل الصَّرفيّ الصّحيح وهو هدف من أهداف هذا العلم))[٢].

(١) إسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدرس اللغويّ (رسالة): ٥٤.

(٢) جداول التَّدريبات الصَّرفية : ٧ .

إنَّ اعتماد الشَّـمسَـان على جداول التّدريبات الصَّـرفيَّة يمثل أشدَّ اهتمام بالبُعد التَّيسيريّ لديه؛ ولاسيما أنَّه يراهن على قدرة تلك الجداول على حلِّ مغاليق الكثير من الشفرات اللغويَّة في البحث الصَّـرفيّ؛ ولاسـيّما أن هذه الجداول لديه ((تتَّصـف بـسرعة الانجاز، وبوضوح التحليل، وتعدّد الإمكانات، وهي بهذه الصفة تنظِّم التدريب وتكشف الأخطاء بسهولة وتساعد المعلِّم على التقويم))[١]، الأمر الَّذي يفسّر لنا ميله الواضح وفي أغلب مدوناته الصَّرفية إلى الاهتمام بالجداول وبمسائل العرض والتقديم للمادة الصَّـرفية، والتعامل معها على أنها تجسيد آخر لعناصر التَّيسير العلميّ بصورة عامة؛ ولعل هذا الفهم هو من أخذ بيد الشَّمسَان لأن يؤكد لنا في مستهلِّ كتابه (دروس في علم

---

(١) جداول التدريبات الصَّرفيَّة : ٧ .

الصَّــرف) بأنَّ مشــروعه الصَّــرفيّ لم يكن ((جديدًا كلّ الجدّة في مادته العلمية، فإنَّ فيه جِدَّةً في تقديم المادة نفسها من حيث اللغة والجداول الإيضــاحيَّة وجمع المتفرقات فلأول مرة - مثلاً- تُدرَسُ قضايا الاسم والفعل في حيِّزٍ واحد))(١).

وبهذا يتأكَّد لدينا أنَّ مجمل رؤية الشَّــمسَــان التَّدوينيَّة في الصَّــرف تعبير عن غايته التعليمية والتيسـيرية، وهي رؤية تمتلك قوتها من تشــبّعها الكامل بالمعرفة اللغوية والثقافية، وبالمعرفة المنهجية قبل هذه وتلك؛ واعتمادًا على ما سبق نرى أن الكشف عن معالم التيسير الصَّرفي وآلياته عند الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان بصـورة عامة وفي كتابه(دروس في علم الصَّـرف) بصـورة خاصـة

---

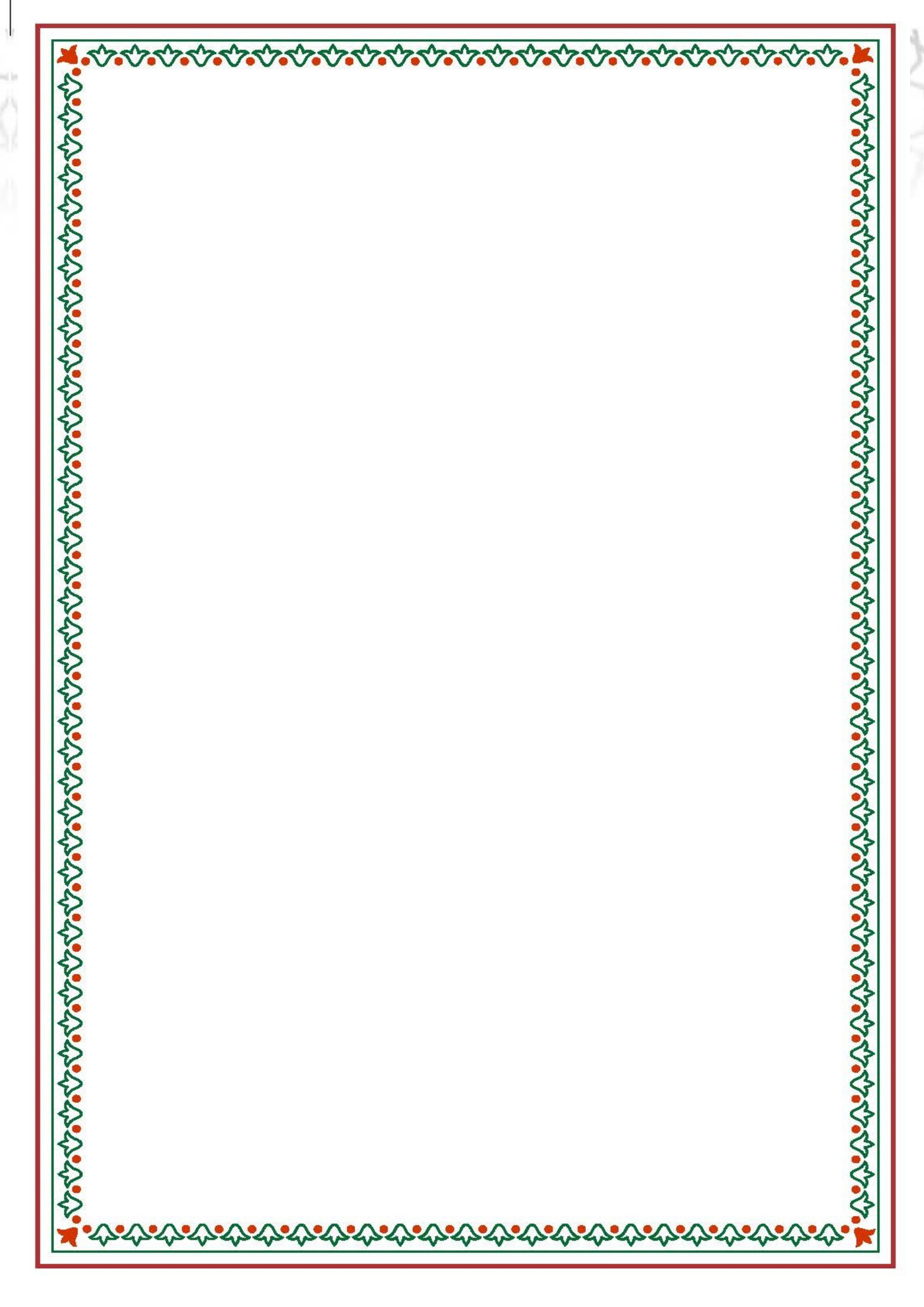
(١) دروس في علم الصَّرف : ٥.



يبقى في نظرنا مشروعًا كبيرًا وبهِ حاجة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث للوصول إلى نتائج الضفة الأخرى.



الخـــاتـــمة



الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان والحديث عن منهجه الصَّرفي في معالجة المسائل والقضايا الصَّرفية؛ انتهينا إلى مجموعة من النتائج الَّتي يمكن إجمالها بما يأتي:

١- إنَّ الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان تصدَّى لكثيرٍ من المسائل الصَّرفية، فكانت له نتيجة لذلك الكثير من الإسهامات الصَّرفية الَّتي اتَّسمت بالمنهجيَّةِ المنضبطة، الَّتي من الممكنِ أن تؤسِّسَ لاتِّجاهٍ فكريٍّ متميّزٍ في التَّأليف والمعالجة اللغويَّة بصورة عامة، والصَّرفية منها على وجه الخصوص.

٢- يُعَدُّ كتاب الشَّمسَان الموسوم بـ(دروس في علم الصَّرف) علامة فارقة في سدِّ الثغرات المنهجيَّة في تأليف الكتب اللسانية عامة، والصَّرفية تحديدًا؛ إذ انمازَ هذا الكتابُ بالمنهج الشموليّ المحكم الَّذي يكتظُّ بمصاديق التبسيط والتيسير في ميدانِ التأليف الصَّرفي، وترتيبه المنسَّق الَّذي استطاع مؤلِّفُهُ الشَّمسَان تبويبَ موضوعات كتابه خير

تبويب، فمَثَّلَ بذلك منهجًا حقًّا في عرض مادته الصَّرفية عرضًا محكمًا ضمَّ فيه الأشباه إلى أشباهها والنظائر إلى نظائرها، وحصر الموضوعات المتماثلة في باب واحد لا في أبواب متفرقة.

٣- المنهج الشموليّ الَّذي اتَّبعه إبراهيم الشَّمسَان في كتابه يجعل المتعلِّم والقارئ يتدرَّج في اكتساب المعرفة تدرجًا طبيعيًّا، يبعده عن التشويش والإرباك، فضلًا عن أنَّ الكتابَ انماز بالابتعاد عن التعقيد والغموض والإبهام وغيرها من الصفات الَّتي وقع بها غيره.

٤- يتأسَّس المنهجُ التدوينيُّ للمسائل والقضايا الصَّرفية عند الدّكتور الشَّمسَان على أساسٍ من المهارة في التصنيف والتقسيم، وفي ضوء معطيات شكليَّة ومعنويَّة، قائمة على مبدأ الاختلاف والتشابه، ومبنيَّة على دعائم من الوصف والعرض العميقين.

٥- الطريقة الَّتي عالجَ بها الشَّمسَانُ كثيرًا من الظواهر الصَّرفية عن طريقِ توظيفِ مجموعة من العمليّات التطبيقيَّة والإجرائيَّة الَّتي استند عليها في حلِّ تلك الظواهر الصَّرفية وتعليلها ومناقشتها، تثبت أنَّه - وفي مواطن ليست بالقليلة من كتابه(دروس في علم الصَّرف)- قد اتَّخذَ من المنهج الوصفي منهجًا وطريقًا يسير عليه، في محاولة منه للكشف عن الأصول الصَّرفية من جهة، وفي معالجة المسائل الصَّرفيَّة الَّتي بفضلها يصل إلى ما يرجوه من أغراض ونتائج من جهة أخرى.

٦- اتَّضحَ لنا أنَّ من بين الأسس الَّتي اعتمد عليها الشَّمسَان في كتابه(مظنَّة البحث) هو الرجوع إلى اللغة المنطوقة، أو لنقل الرجوع إلى المبدأ الصَّوتيّ، وأسس التحليل اللغويّ الَّذي ينطلق من كون اللغات تتَّصف بكونها كلامًا منطوقًا يتداول شفاهة، ولذلك وجب الاهتمام بالمنطوق انطلاقًا من أنَّ دراسة المكتوب لهكذا مسائل صرفية تستدعي بالضرورة

تحليلًا معمَّقًا لما هو منطوق، وهذا ما لا يريد الشَّمسَان الخوض فيه.

٧- الأسس والآليات المعياريَّة الَّتي استعملها الشَّمسَان في كتابه من مثلِ :السَّمَاع والقياس... جاءت بوصفها رافدًا مهمًّا وقويًّا من روافد النمو في اللغة العَرَبيَّة والمستوى الصَّرفيّ منها على وجه الخصوص إذ إنَّ معياريَّة الدّكتور الشَّمسَان (إن جاز لنا الوصف) تسعى في المقامِ الأول إلى تفسير العلائق بين الكلمات وأبنيتها، وما يطرأ على تلك الأبنية والكلمات من تغيير في الشكل والمضمون من دونِ النظرِ إلَى الأصل التّأريخيّ للظاهرة وتطوّرها عبر العصور.

٨- إذا كان البحث اللسانيّ المعاصر قد حرص على اعتماد الآليات والوسائل المعرفيَّة والمنهجيَّة الَّتي تجعل من مستوياته وخطابه قريبًا من المعرفة والعلم فإن الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان حاول السير في هذا الطريق التيسيريّ الَّذي تجلى لنا عِبْرَ تبنّيه لمجموعةٍ من الآليّات التَّفسيريَّة و

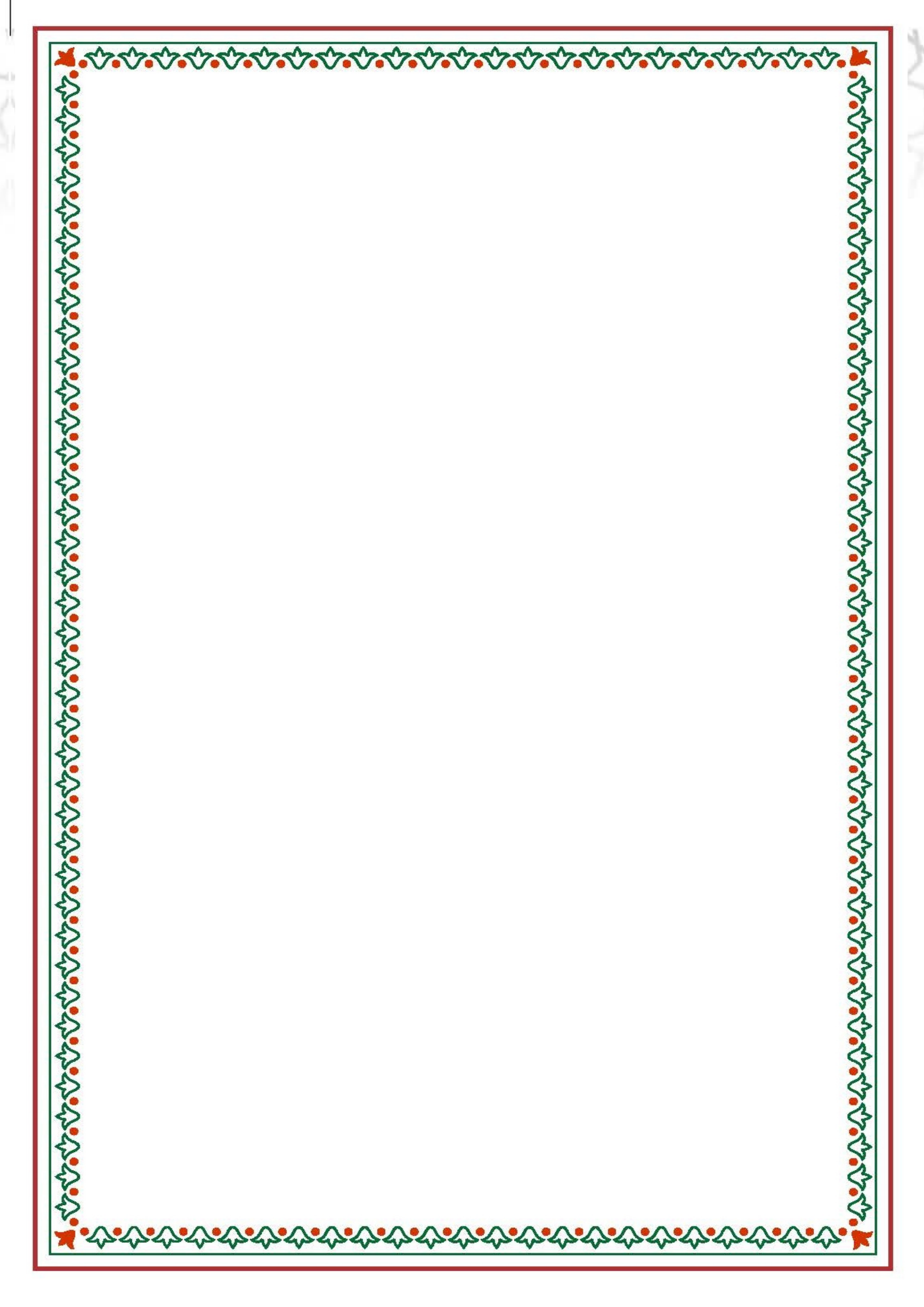
التَّيســيريَّة الَّتي تســاعده على تحقيق مســعاه وغايته، ومنها على ســبيل المثال لا الحصــر الميزان الصَّــرفي الَّذي جعله فاتحة لكتابه(دروس في علم الصَّرف) بوصفه آلية من آليات تيســير الصَّــرف تعليمًا وتعلّمًا، تضــع أيدينا على أصــوات معروفةٍ بها نتحقَّق ممَّا يطرأ على الألفاظ من تغيير .

٩- الافتراض الصَّــرفيَّ اســتأثر باهتمامٍ كبيرٍ من لَدُنِ الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان، وقد بَدَا ذلك واضحًا في كتابه(دروس في علم الصَّــرف) ؛ إذ نجد أنَّ اســتخدامه للأدلة والتعليلات والصــور الافتراضــيَّة الَّتي استقَاهَا من القدماء والمحدثين، يدلُّ دلالةً واضــحةً على أنَّ الافتراضَ لدى الشَّــمسَــان كان جزءًا من غايته التعليميَّة وأداة منهجية ينطلق منها في شــرح وتحليل القواعد والبِنَى الصَّــرفيَّة ومحاولة إيصال ذلك إلى المتلقِّين بيُسْرٍ وسهولة .

١٠- قيام الدكتور الشَّـمسَـان بتوظيف القرارات التصـريفية الَّتي أصـدرها مجمع اللغة العَرَبيَّة في القاهرة تمثِّل رؤيةً علميَّة وتيسيريَّة جديرة بالاهتمام.

١١- حاولَ الدّكتور إبراهيم الشَّـمسَـان -قدر الإمكان- إخراج المتن والمعلومة الصَّـرفية (التّراثية والمسـتجدة) بطريقة تتسـاوق وروح العصـر، والظروف التعليمية السـائدة، إيمانًا منه بأنَّ المسـائل الصَّـرفية ومعطياتها لم تكن فعلاً غريبـًا عن المتعلِّم العربيّ، وإنما المشـكلة تكمنُ في المنهج التدوينيّ، وطريقة العرض، واللغة المسـتخدمة في الوصـول إلى الغاية المنشـودة؛ ولذلك نقول : إن الكشـف عن معالم التيسـير الصَّـرفي وآلياته عند إبراهيم الشَّـمسَـان بصـورة عامة، وفي كتابه(دروس في علم الصَّـرف) يبقى في نظرنا مشـروعًا كبيرًا به حاجة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث للوصول إلى نتائج الضفة الأخرى.

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبحاث في العَرَبيَّة الفصحى، د. غانم قدوري الحمد، دار عمان للنشر والتوزيع، ، عمان، ط١، ٢٠٠٥م.

٢- الاجتهاد النحوي في ضوء علم الأصول، د. رائد عبدالله حمد السامرائي، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٢م.

٣- أخطاء الطلّاب في الميزان الصَّرفيّ، د. إبراهيم سليمان رشيد الشَّمسَان، إصدارات مركز البحوث، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ط١، ١٩٩٤م.

٤- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تح: د. مصطفى أحمد النماس، ط١، ١٩٨٤م.

٥- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٦- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية، العامة بغداد، ١٩٨٨م.

٧- أصــول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، منشــورات الجامعة الليبية، ١٩٧٣م.

٨- الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصــول النحو، أبو البركـات الأنبـاري، تحقيق: ســعيد الأفغـاني، مطبعـة الجامعة السورية، ١٩٥٧م.

٩- الاقتراح في علم أصـول النحو، جلال الدين السـيوطي، قدّم له وضــبطه وشــرحه، الدّكتور أحمد ســليم الحمصــي، والدّكتور محمد أحمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨م.

١٠- البحث اللســاني الحديث في العراق في النصــف الثاني من القرن العشــرين، د. حيدر محمد جبر، ط١، الدار العَرَبيَّة للعلوم ناشرون، لبنان ٢٠١٢م.

١١- تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث، د. حسام قدّوري عبد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢- تبسيط قواعد اللغة العَرَبيَّة وتبويبها على أساس منطقيّ جديد، د. أنيس فريحة، لبنان، ١٩٨٢م.

١٣- التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، ط٢، بيروت، ١٩٩٩م.

١٤- التطبيق الصَّرفي، د.عبده الراجحي، دار النهضة، بيروت، (د.ط) (د.ت).

١٥- تطبيقات في المناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار وائل، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.

١٦- التعريفات ، علي بن محمد بن شريف الجرجاني (ت٨١٦ هـ) مكتبة لبنان، بيروت، د. ط، ١٩٨٥م.

١٧- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث - قراءة في كتاب سيبويه- د. عادل نذير بيري الحساني، ديوان الوقف السني، ط١، ٢٠٠٩م.

١٨- التَّفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، د.ط، ٢٠٠٥م.

١٩- تقويم المنهج الصَّرفيّ، الدّكتور رزاق جعفر الزريجاوي، دار الينابيع للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢٠- جداول التدريبات الصَّرفية، أبو أوس إبراهيم الشَّمسَان، مكتبة الرشد - شركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العَرَبيَّة السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢١- الجمل في النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزّجَّاجيّ، تحقيق: علي توفيق الحمد، منشورات دار الرسالة- دار الأمل، ١٩٨٤م.

٢٢- الجملة الشـرطيةعند النحاة العرب: أبو أوس الشَّـمسـان، تقـديم: أ.د. محمود فهمي حجـازي، مطـابع الـدَّجويّ- القاهرة، ط/ ١، ١٩٨١م.

٢٣- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصـرية، المكتبة العلمية، د. ط، ١٩٥٧م.

٢٤- الخلاف الصَّرفي وأثره في تيسير الصَّرف، أحمد صفاء عبد العزيز العـاني، المكتبـة الأزهريـة للتراث ، الطبعـة الأولى ٢٠١٩م.

٢٥- دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار المعارف بمصر، ط٩، ١٩٨٦م.

٢٦- دروس في علم الصَّـرف، د. إبراهيم سـليمان الشَّـمسَـان، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ٢٠٠٤م.

٢٧- دور البِنْيَة الصَّـرفيَّة في وصـف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم، محمد، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩٤م.

٢٨- السـياق والنص الشـعري من البِنْيَةِ إلى القراءة، علي آيت أورشـان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضـاء، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٩- الشَّـاهد وأصـول النحو في كتاب سـيبويه، د. خديجة الحديثيّ، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٧٤م.

٣٠- شـرح الرَّضـيّ على الكافية، محمد بن الحسـن الرضـي الاسـتراباذي، تصـحيح وتحقيق، يوسـف حسـن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط٢، د.ت.

٣١- الشـفاهية والكتابية، والترج أونج ترجمة حسـن البنا عز الدين، مراجعة: محمد عصفور، منشورات عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٤ م.

٣٢- شيفرة أدونيس الشعرية، سيمياء الدال ولعبة المعنى، د. محمد صابر عبيد، الدار العَرَبيَّة للعلوم ناشرون، ط١، لبنان، ٢٠٠٩م.

٣٣- علم الصَّرف الصَّوتيّ، د. عبد القادر عبد الجليل، (د.ط) ١٩٩٨م.

٣٤- علم اللغة بين التُّراث والمعاصرة، عاطف مدكور، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣٥- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز، مطبوعات آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

٣٦- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ) تحقيق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، د.ط، د.ت.

٣٧- فقه اللغة العَرَبيَّة وخصائصها، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٣٨- في علم اللغة التقابلي دراسات نظرية، البدراوي زهران، ط١، دار الآفاق العَرَبيَّة، ٢٠٠٨م.

٣٩- القرارات النَّحوية والتَّصريفيَّة لمجمع اللغة العَرَبيَّة بالقاهرة، جمعًا ودراسة وتقويمًا، إلى نهاية الدورة الحادية والستين عام ١٩٩٥م، خالد بن سعود بن فارس العصيمي، ط١، دار التدمرية، الرياض، ٢٠٠٩م.

٤٠- لسان العرب، ابن منظور، (ت ٧١١هـ) تحقيق :عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، د.ت.

٤١- اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٤٢- اللغة بين المعياريَّة والوصــفيَّة . د. تمَّام حسَّـــان، عالم الكتب القاهرة، د.ط، ٢٠٠١م.

٤٣- مبدأ العلّة، هيدجر مارتن، ترجمة الدّكتور نظير جاهل، المؤسسة العالمية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٤٤- محاولات بناء المعيار الدلالي في الدلالة المعجمية دراسة وصــفية تحليلية د. بدر بن عائد الكلبي، دار الجنان للنشــر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.

٤٥- المدارس النحوية، د. شـوقي ضـيف، دار المعارف للنشــر والتوزيع، ط٧، د.ت.

٤٦- مداخل لنظرية اللغة، لويس هيلمسليف، ترجمة د.يوسف إسكندر، مراجعة د.حسن ناظم، منشورات جامعة الكوفة، دار الرافدين، ط١، ٢٠١٨م.

٤٧- مدخلات لغوية (١) شهادات ومتابعات، أبو أوس إبراهيم سليمان الشَّمسان، الرياض، ١٤٣٦هـ.

٤٨- مدخل إلى علم اللغة، د.محمود فهمي حجازي، ط٢، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م.

٤٩- المستشرقون والمناهج اللغويَّة، د. اسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين للنشر، عمَّان، الأردن، ط١، ١٩٩٢م.

٥٠- مستويات التنظير في الصرف العربي، د. أحمد كرّوم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش- المغرب، ط١، ٢٠٠٧م.

٥١- مظاهر التَّيسير الصَّرفي، دراسة في قرارات مجمع اللغة العَرَبيَّة في القاهرة، د. محمد حسين علي زعين، منشورات المجمع العلمي العراقي، الطبعة الأولى ٢٠١٤ م.

٥٢- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن الفخر الرازي (٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥٣- مفهوم الجملة في كتاب سيبويه، د. حسن عبد الغني الأسدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٤- مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٥٥- المقدمة الجزولية في النحو، عيسى بن عبد العزيز الجزولي، تحقيق: شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أُم القرى، د.ت.

٥٦- المنصف، شرح كتاب التَّصريف للمازني، ابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط١، إدارة الثقافة العامة، ١٩٥٤م.

٥٧- منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافيَّة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١٩٨٦م.

٥٨- المنهج الوصفيّ في كتاب سيبويه، د. نوزاد حسن أحمد، دار دجلة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٩- المهذّب في علم التَّصريف، د. صلاح مهدي الفرطوسي، د. هاشم طه شلاش، ط١، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، ٢٠١١م.

٦٠- النّحو العربيّ والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحيّ، دار النّهضة العَرَبيَّة، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٧٩م.

الرسائل والأطاريح الجامعيَّة

٦١- ابن جني مُيَسَّرًا صرفيًّا، حوراء أحمد عبود العامريّ ، (أطروحة) كلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة كربلاء، ٢٠١٥م.

٦٢- الاتِّجاهات الصَّرفيَّة عند المُحْدَثين دراسة نقديَّة، يسرى ثجيل مذكور، (أطروحة) كلية التَّربية ابن رشد، جامعة بغداد : ٢٠١٩ م.

٦٣- إسهامات إبراهيم الشَّمسَان في الدرس اللغوي (رسالة)، سجى عمر عبد الحفيظ طعامنة، كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة آل البيت، ٢٠١٨م.

٦٤- الافتراض الصَّرفيّ دراسة في ضوء علم اللغة الحديث (أطروحة) حيدر عبد علي حميدي، كلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة - جامعة كربلاء، ٢٠١٣م.

٦٥- البحث الصَّرفي في الدراسات اللغويَّة العَرَبيَّة الحديثة (أطروحة)، نسرين عبد الله شنوف العلواني، كلية التَّربية ابن رشد - جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

٦٦- التصور الفينومينولوجي للغة، قراءة في فلسفة اللغة عند هوسرل، مخلوف سيد أحمد، (أطروحة) كلية العلوم الاجتماعيَّة قسم الفلسفة، جامعة وهران ٢٠١٢-٢٠١٣م.

٦٧- النص بين المنطوق والمكتوب دراسة لسانية تطبيقية، آسية باتني (رسالة) كلية الآداب والفنون، جامعة وهران السانيا، الجزائر، ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨ م.

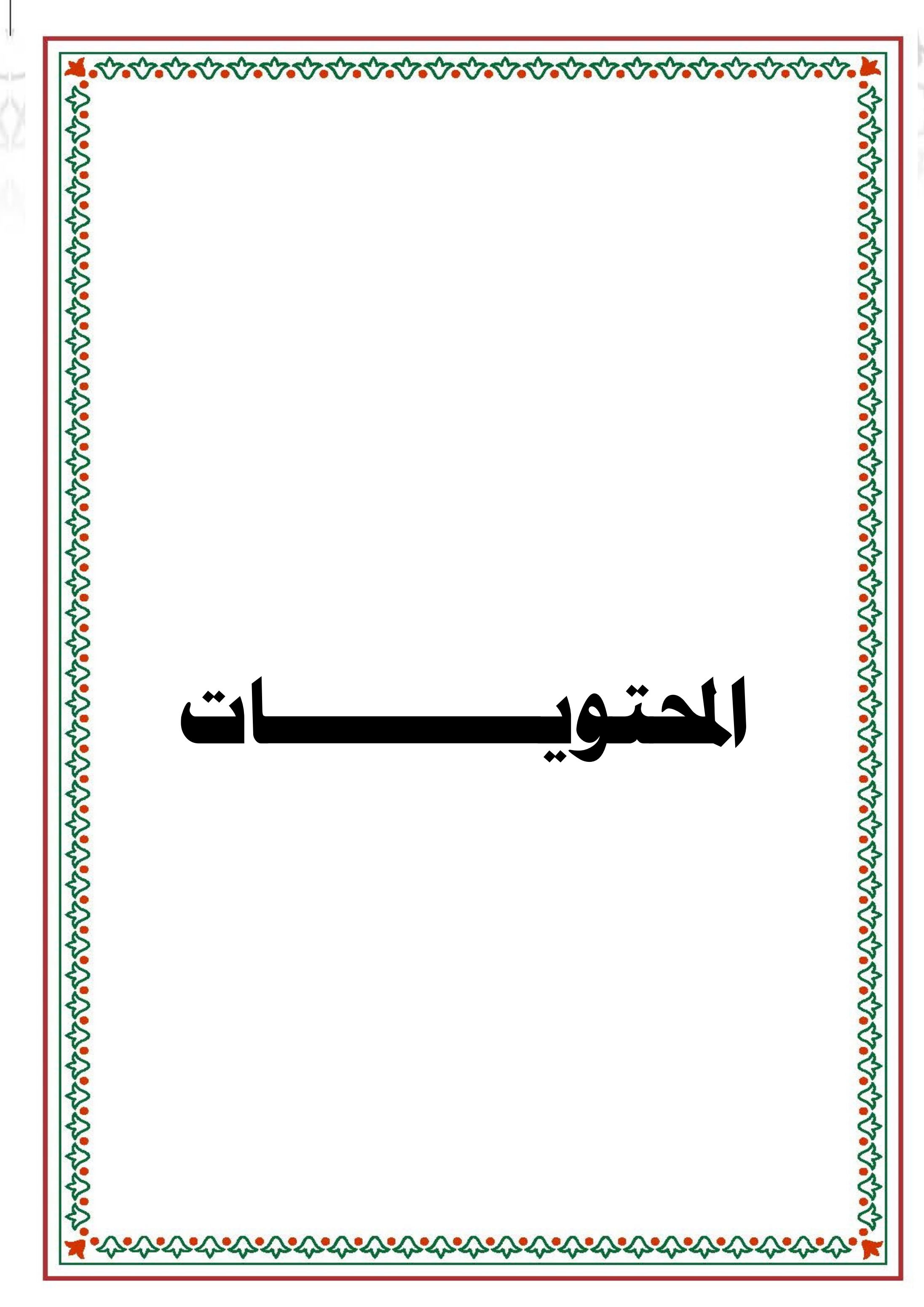
البحوث والمقالات المنشورة :

٦٨- علم الصَّرف هل من جديد؟قراءة في كتاب(دروس في علم الصَّرف)، مقال للدكتور أحمد مطر العطية، منشور في مدوَّنة الجزيرة الإلكترونيَّة بتاريخ١٤نيسان ٢٠١٨م.

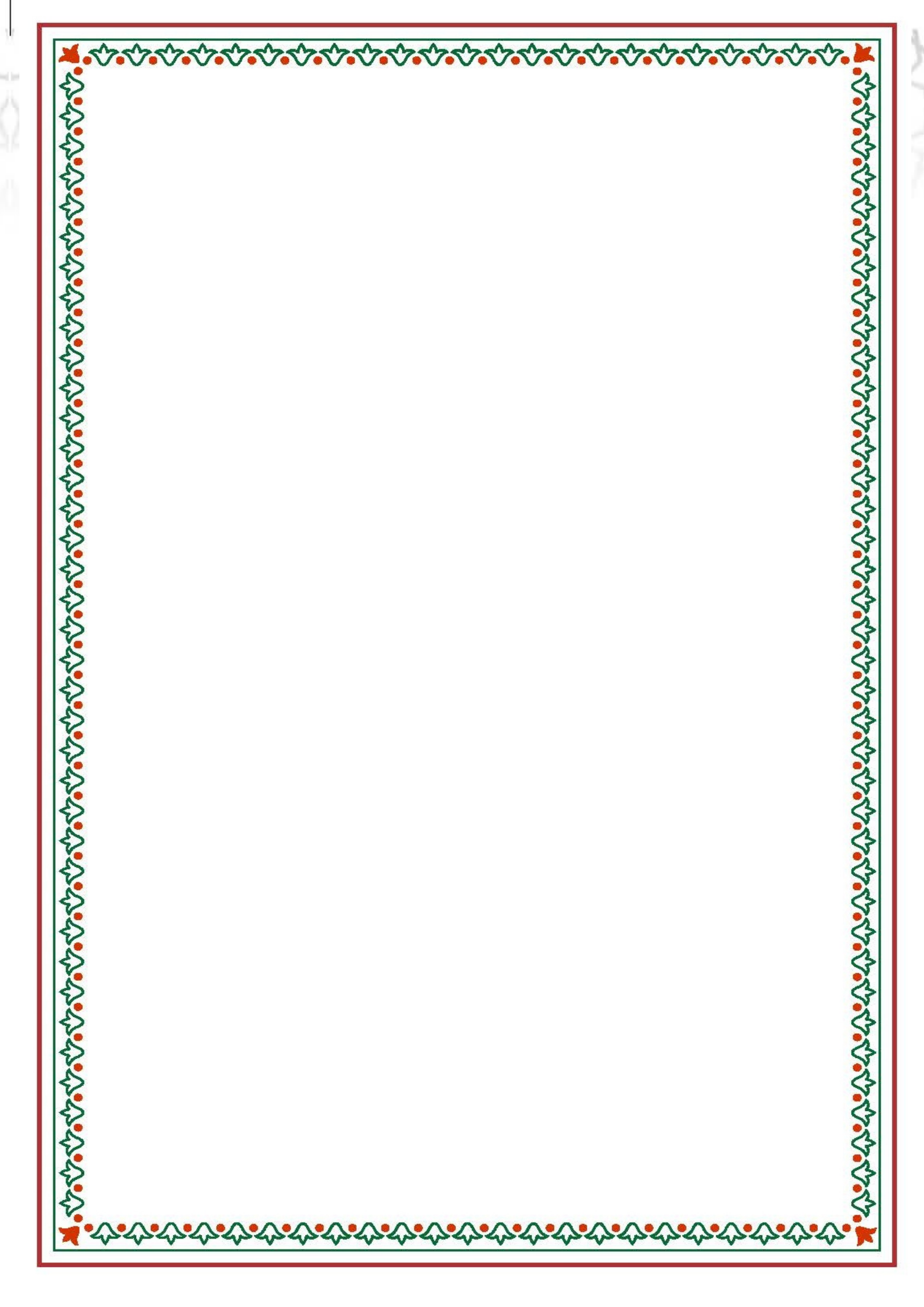
٦٩- وقفة مع بعض قرارات المَجْمَع العلميّ المتعلِّقة بالتَّيسير الصَّرفيّ، أ.د.عادل نذير بيري، أ.م. آلاء عبد نعيم، بحث منشور في مجلة لارك للفلسفة واللسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، العدد ٩، السنة الرابعة، ٢٠١٢م.

المراسلات الإلكترونيَّة

٧٠- مراسلة إلكترونية مع الدّكتور إبراهيم الشَّمسَان بتاريخ ٩/ ١٢/ ٢٠١٩م.



المحتويـــــــــات



المحتويات

التهيتُ من قراءةِ هذا البحث المتميّز، والدّهشة تأخذ منّي كلَّ مأخذ، إذ لم يخطر ببالي أن أقرأ يومًا عملًا بحثيًّا بهذا المستوى من الاستقصاءِ والغوص على الدّقائق وعمق التّحليل وجودة الاصطفاء وحسن التّنسيق ثم التّوفيق إلى استنطاقِ العملِ والقدرة الباهرة على تلمُّسِ جوانب الإجادة فيه وإبراز محاسنه بطريقةٍ علميّةٍ معتمدةٍ على مهادٍ نظريٍّ منطلق من معرفة عريضة بقضايا اللغة التُّراثيّة وبمنجزات علوم الألسنيَّة الحديثة . كنتُ أقرأ فأجِدُني أتعرّف عملي تعرّفًا جديدًا وأسألُ نفسي أحقًّا صنعتُ ذلك؟ أتنبَّه إلى سماتٍ وصفاتٍ ما كنت لأتنَبَّه إليها لولا قراءة هذا البحث الجليل، وأحسب طلابي وزملائي ومن استعملوا هذا الكتاب في تعلّمهم أو تعليمهم سيحسّون هذا الإحساس.

أبو أوس الشّمسان